

الاستشراف المستقبلي لمبدأ وحدة المسؤولية المدنية في التشريع المدني الفرنسي الحديث قراءة في فلسفة مشروع قانون إصلاح نظرية المسؤولية "PLRRC Urvoas 2017": دراسة تحليلية معمقة

أ. د. محمد عرفان الخطيب

أستاذ القانون المدني

قسم القانون، كلية أحمد بن محمد العسكرية

الدوحة، قطر

المخلص

يقدم البحث دراسةً أكاديميةً تأصيليةً، تبحث وفق منهج تحليلي معمق، في البعد الفلسفي لمشروع قانون إصلاح أحكام المسؤولية المدنية لعام 2017، المعبر عن الرؤية الاستشرافية لنظرية المسؤولية المدنية في التشريع الفرنسي الحديث، بهدف التدليل ما إن كانت الفلسفة العامة لهذا المشروع، تُمكن من التأسيس لرؤية استشرافية جديدة تقوم على وحدة المسؤولية المدنية في النظام الفرنسي لا ثنائيتها، وذلك عبر البحث في «المضمّر»، لا «المعلن» من نصوص هذا المشروع! وفق ملامح رئيسيين برزا بوضوح ضمن روح وفلسفة هذا المشروع: الأول يرتبط بهجر المصطلح القانوني الخاص بالمسؤولية التقصيرية لصالح المسؤولية غير التعاقدية، والثاني يُفهم بالتراجع الكبير لنظرية الخطأ ضمن نصوص هذا المشروع، على حساب نظرية الضرر التي برزت بوضوح في روح وفلسفة هذا المشروع.

وقد أثبت البحث، حقيقةً إمكانية تأصيل رؤية استشرافية تؤسس لوحدة المسؤولية المدنية في النظام المدني الفرنسي، التي ستكون شكلاً، وفق غطاء مصطلحي قائم على فكرتي العقدية وغير العقدية، وستكون موضوعاً، قائمة على جملة من العناصر الموحدة لأركانها المرتكزة على تكريس نظرية الضرر، واستبعاد نظرية الخطأ. رؤيةً لا محالة ستكون موضع إشادة كما موضع انتقاد، ما يجعل الدور الإصلاحي التوجيهي الواجب على المشرع القيام به لتدعيم هذا التوجه، لا يقل أهمية عن الدور الإبداعي الرقابي الذي ستقوم به المؤسسة القضائية في سبيل تدعيم عناصر هذه الوحدة الشكلية والموضوعية وتأصيلها تطبيقاً، بعد أن يقوم الفقه بإثرائها وتبيان مكان القوة والضعف فيها، الذي

سيكون خير منير لكل من المشرع والقضاء في أداء ما هو مترتب عليهما في قادم الأيام.

كلمات دالة: مشروع قانون إصلاح أحكام المسؤولية المدنية لعام 2017، ثنائية المسؤولية المدنية، المسؤولية العقدية، المسؤولية غير العقدية، الخطأ، الضرر.

المقدمة

بعد أن أقرّ المشرع المدني الفرنسي القانون رقم 10 لعام 2016⁽¹⁾ الخاص بإصلاح نظام العقود والإثبات، الذي عدّل بموجبه أحكام الباب الثالث من الكتاب الثالث من القانون المدني، بقي عليه أن يكمل مسيرته الإصلاحية بتعديل أحكام الباب الرابع والرابع مكرر من الكتاب ذاته، نظراً لارتباط مواضيع البابين بوحدة تشريعية واحدة تتناول النظرية العامة للالتزام، ببعديها التعاقدي وغير التعاقدي «التقصيلي».

ورغم أن كلتا النظريتين مثلتا هماً تشريعياً واحداً، ورغم معالجة المشرع الفرنسي لكليهما في إطار مشاريع قانونية واحدة، من أهمها: مشروع Chancellerie⁽²⁾، ومشروع Catala⁽³⁾، وأخيراً مشروع Terré⁽⁴⁾، إلا أنه أفرد لنظرية المسؤولية المدنية مشاريع قوانين خاصة، أوكل بعضها إلى اللجان السابقة ذاتها، كما هو الحال بمشروع

- (1) L'ordonnance, n° 2016-131, 10 févr. 2016, portant réforme du droit des contrats, du régime général et de la preuve des obligations: JO. 11 févr. 2016. "Ord, n° 2016-131, 10 févr. 2016". Voir, N. Dissaux et Ch. Jamin, Réforme du droit des contrats, du régime général et de la preuve des obligations. (Ordonnance n° 2016-131 du 10 février 2016). Commentaire des articles 1100 à 1386-1 du code civil, éd, Dalloz. 2016.
- (2) Note de présentation du projet de réforme du régime des obligations et des quasi-contrats. Document publié sur le site d'internet : http://www.textes.justice.gouv.fr/art_pix/avant_projet_regime_obligations.pdf. A. Ghozi et Y. Lequette, La réforme du droit des contrats : brèves observations sur le projet de la chancellerie, D, 2008, chron. p. 2609.
- (3) Rapport sur l'avant-projet de réforme du droit des obligations (articles 1101 à 1386 du code civil) et du droit de la prescription (articles 2234 à 2281 du code civil), P. Catala (dir.), La documentation française, 2005. D. Mainguy, Défense, critique et illustration de certains points du projet de réforme du droit des contrats, D, 2009, chron., p. 308. S. Rétif, Le rapport Catala. Responsabilité civile et assurances, n° 1, 2006, alerte 1. M. Poumarede, Les régimes particuliers de responsabilité civile, ces oubliés de l'avant-projet Catala, D. 2006, n° 35, Pp. 2420-2426.
- (4) Trois ouvrages sont parus sous la direction de François Terré : Pour une réforme du droit des contrats, Dalloz, 2008 ; Pour une réforme du droit de la responsabilité civile, Dalloz, 2011 ; Pour une réforme du régime général des obligations, Dalloz, 2013.

قانون Catala-Viney⁽⁵⁾ لعام 2005، ومشروع قانون Terré⁽⁶⁾ لعام 2010؛ وأوكل بعضها الآخر للجان حصرية كما هو الحال في مشروع قانون Béteille⁽⁷⁾ لذات العام.

وكان من المفروض أن يتم تبني مشروع إصلاح قانون المسؤولية المدنية مع الإصلاح الخاص بقانون العقود، غير أنه، ولأسباب لا تزال غير واضحة⁽⁸⁾، أثر المشرع الفصل

- (5) Avant-projet de réforme du droit des obligations (articles 1101 à 1386 du code civil) et du droit de la prescription (articles 2234 à 2281 du code civil) (Dir) P. Catala), [www.justice.gouv.fr/publicat/rapport/Rapport Catala Septembre 2005.pdf](http://www.justice.gouv.fr/publicat/rapport/Rapport_Catala_Septembre_2005.pdf). Avant-projet Catala-Viney de 2005. P. Catala, (Dir), Avant-projet de réforme du droit des obligations (articles 1101 à 1386 du code civil) et du droit de la prescription (articles 2234 à 2281 du code civil), rapport à P. Clément, Ministre de la Justice, 22 septembre 2005, Pp. 141-170, www.lexinter.fr. Avant-projet de réforme du droit des obligations et de la prescription, (Dir) P. Catala, La Documentation française, 2006. Colloque organisé par la Revue des contrats le 12 mai 2006, L'avant-projet de réforme du droit de la responsabilité, Revue des contrats, 2007, n° 1, numéro spécial. L'avant-projet de réforme du droit de la responsabilité, (Actes du Colloque, Paris I, 12 mai 2006. Revue des contrats, n° 1, numéro spécial, 2007.
- (6) Document sur le site d'internet: http://www.justice.gouv.fr/publication/j21_projet_ord_reforme_contrats_2015.pdf. Voir, Groupe de travail sur le projet intitulé Pour une réforme du droit de la responsabilité civile sous la direction de F. Terré, 2012. <https://www.courdecassation.fr/IMG///reforme-droit-RC.pdf>. Ph. Remy et J-S. Borghetti, Présentation du projet de réforme de la responsabilité délictuelle, In Pour une réforme du droit de la responsabilité civile, (Dir) F. Terré, Thèmes et commentaires, Dalloz, 2011, p. 61. Pour une réforme du droit de la responsabilité civile, Dalloz, 2011 ; Pour une réforme du régime général des obligations, Dalloz, 2013. Ph. Brun, C. Quezel-Ambrunaz, Réforme de la responsabilité civile : regards impressionnistes sur un projet académique. Revue Lamy Droit civil, 2012, p. 89.
- (7) A. Anziani et L. Beteille. Proposition de loi n° 657 portants réforme de la responsabilité civile, Sénat 9 juill. 2010. Voir, A. Anziani et L. Béteille, (Dir), Responsabilité civile : des évolutions nécessaires. Rapport du groupe de travail sur la responsabilité civile de la Commission des lois du Sénat, 15 juillet 2009, n° 558. Responsabilité civile: des évolutions nécessaires. Commission des lois du Sénat. Rapport d'information d'A. Anziani et L. Béteille au nom du groupe de travail sur la responsabilité civile. <http://www.senat.fr/noticerap/2008/r08-558-notice.html>.

(8) ذهب بعض الفقه إلى القول بأن الفصل بين النظريتين، إنما أتى لخصوصية التبني القانوني لمشروع القانون الخاص بنظرية العقد، عبر مرسوم رئاسي، وليس قانون برلماني، وهو ما كان الكثير من الفقه غير متفق معه. لذلك، ورغبة من الحكومة الفرنسية الجديدة ومن المشرع الفرنسي في منح البرلمان دوراً أكبر في مشروع هذا القانون، فقد تم تأجيل تبنيه، ولا أدل من أن الحكومة الفرنسية أعربت صراحة عن موقفها المؤيد لتبني مشروع القانون عبر الطرق البرلمانية صاحبة الاختصاص الأصلي، واضعة حداً للنقاش القانوني حول ذلك.

بين نظرية العقد ونظرية المسؤولية، متبنياً بموجب القانون رقم 10 لعام 2016 الإصلاح الجديد لأحكام نظرية العقد، ومبقياً نظرية المسؤولية في حيزها القانوني السابق دون أي إصلاح جوهري ملموس، ما جعل نظرية الالتزام مبتورة الجانب⁽⁹⁾، لتتم إعادة هيكلة مختلف مشروعات القوانين الخاصة بنظرية المسؤولية، لاسيما مشروع قانون Catala-Viney⁽¹⁰⁾ و Terré⁽¹¹⁾، في إطار مقترح تشريعي جديد سمي: «المشروع الأولي

في حين ذهب البعض الآخر من الفقه إلى القول بأن المسؤولية المدنية في جانبها التقصيري تمس شريحة مجتمعية واسعة، وتحتاج لعناية أكبر، وبالتالي يجب النظر بعمق أكبر في نصوص مشروع هذا القانون، ما يستوجب منح المزيد من الوقت للتفكير في النصوص القانونية الخاصة بقواعده، بينما ذهب رأي أخير إلى القول إن المشرع أثر تأجيل تبني مشروع القانون في الوقت الراهن، في الوقت الراهن، لاستكمال التعديلات القانونية في جوانب قانونية أخرى.

وفي جميع الأحوال فإن هذه التبريرات تبقى موضع نظر، وغير مفصلية، لاسيما إذا ما علمنا أن خصوصية الإقرار القانوني لقانون العقود، لم تطعن في صحة ونفاذ والتبني النهائي لقانون العقود الجديد، ناهيك عن أن القانون الجديد تناول بالتعديل جوانب مهمة في نظرية المسؤولية المدنية في شقها المتعلق بالمسؤولية التعاقدية، التي لا تقل أهمية عن نظيرتها التقصيرية، وبالرغم من ذلك تم تبنيها، ناهيك عن أن العمل القانوني الذي قام به عرابو مشروع قانون العقد والمسؤولية، لا يقل أهمية في الجانب المتعلق بالشق التعاقدية لهذه المسؤولية عن الجانب التقصيري، ما يجعل من مختلف هذه النقاط التبريرية، بالنسبة لنا موضع أسف.

L'ordonnance, n° 2016-131, 10 févr. 2016, op, cit. G. Viney, Après la réforme du contrat, la nécessaire réforme du code civil relative à la responsabilité, JCP, 2016, p, 99. G. Viney, L'espoir d'une recodification du droit de la responsabilité civile, D. 2016, p. 1378. G. Viney, Les difficultés de la recodification du droit de la responsabilité civile, in Le Code civil 1804-2004. Livre du bicentenaire: Dalloz-Litec, Paris, 2004, p. 255 et s.

(9) فوق التعديل الأخير لعام 2016 بقيت نظرية المسؤولية دون تعديل يذكر، إلا من ناحية التقييم الشكلي، الأمر الذي كان نتيجة طبيعية لإدراج النصوص القانونية الجديدة المتعلقة بنظرية العقد في صلب أحكام القانون المدني، ما جعل نظرية الالتزام في منظورها العام غير مكتملة.

L'ordonnance, n° 2016-131, 10 févr. 2016 S. Carval, Le projet de réforme du droit de la responsabilité civile. JCP E, n° 15, 2017, p. 401., op, cit. D. Bakouche De l'ordonnance du 10 février 2016 à l'avant-projet de loi portant réforme de la responsabilité civile: inconstance idéologique ? Responsabilité civile et assurances n° 7-8, Juillet 2016, repère 7. L. Leveneur, Et maintenant, vers une réforme de la responsabilité civile. Repère Contrats Concurrence Consommation n° 7, Juillet 2016, repère 7. M. Fabre Magnan: Un projet à refaire, Revue des contrats, 2016, p.782. G. Viney, Après la réforme du contrat, la nécessaire réforme du code civil relative à la responsabilité, op, cit. p. 99.

(10) Voit Supra (2).

(11) Voit Supra (4).

لإصلاح قانون المسؤولية المدنية» [APLRRRC Urvoas]⁽¹²⁾، تم طرحه للنقاش العام في 2016، ثم أعيدت هيكلته في عام 2017 في إطار مشروع قانون جديد، سمي: «مشروع قانون إصلاح أحكام المسؤولية المدنية» [PLRRC Urvoas]⁽¹³⁾، المقدم للحكومة الفرنسية حالياً، ليشكل الأرضية التشريعية الجديدة المقترحة لنظرية المسؤولية المدنية في التشريع المدني الفرنسي.

- (12) [APLRRRC Urvoas]، Avant - Projet de Loi réforme de la Responsabilité Civile «Urvoas». Avant-projet de réforme du droit de la responsabilité civile, JCP G, numéro spécial, suppl. n° 30-35, 25 juill. 2016. Chancellerie, Conf. De presse, 29 avr. 2016. Voir, le texte de l'avant-projet de loi: www.textes.justice.gouv.fr/textes-soumis-a-concertation-10179/reforme-du-droit-de-la-responsabilite-civile-28936.html. Ph. Brun, Premiers regards sur l'avant-projet de réforme de la responsabilité civile, RTD civ, 2016, p. 140. Avant-projet de loi Réforme de la responsabilité civile Analyses et contrepropositions, Centre de droit civil des affaires et du contentieux économique, 2016, (EA 3457), Unive. Paris-Ouest Nanterre La Défense. B. Winiger, L'architecture de l'avant-projet de loi sur la responsabilité civile, in Revue de droit suisse, n° 4, 2001, Pp. 299-326. J-S. Borghetti, L'avant-projet de réforme de la responsabilité civile, D, 2016, p. 1386s, n° 38-39.
- (13) Projet de Réforme du droit de la responsabilité civile «Urvoas» [PLRRC Urvoas]. Projet de réforme de la responsabilité civile Mars 2017. http://www.justice.gouv.fr/publication/Projet_de_reforme_de_la_responsabilite_civile_13032017.pdf. Extrait du Projet de réforme de la responsabilité civile Ministère de la Justice. Mars 2017, In Réforme de la responsabilité civile : suivi du projet, www.editions-legislatives.fr. p. 8s. Dossier de presse projet de réforme du droit de la responsabilité civile. http://www.justice.gouv.fr/publication/dp_responsabilite_civile_20170310.pdf. N. Dissaux, Quelles réformes pour la responsabilité civile ? AJ contrat 2017, p.169. J-S. Borghetti, Un pas de plus vers la réforme de la responsabilité civile : présentation du projet de réforme rendu public le 13 mars 2017, D, 2017, p. 770. S. Carval, Le projet de réforme de la responsabilité civile, JCP. G, 2017, p. 401. Réforme de la responsabilité civile : Le projet présente des développements cohérents, pour F. Coulon. In Réforme de la responsabilité civile : suivi du projet, www.editions-legislatives.fr. p. 27s. B. Lehaire, Chronique – Quelques commentaires du projet français de réforme du droit de la responsabilité civile à la lumière du droit québécois EYB2017REP2249. Repères, Juin, 2017. M. Mekki : Le projet de réforme du droit de la responsabilité civile : maintenir, renforcer et enrichir les fonctions de la responsabilité civile, Gazette du Palais, n° 22, 14 juin 2016, p.17. Le projet de réforme de la responsabilité civile est une œuvre collective portée par la Chancellerie, Propos recueillis par C. Kleitz, interviewé J-J. Urvoas, Ministre de la Justice, Gaz. Pal. 14 mars 2017, n° 11, p. 10.

مشروع، مما لا شك فيه، أنه سيكون عرضة للكثير من البحوث والدراسات القانونية التحليلية، المؤيدة والمعارضة له، من قبل العديد من رجال الفقه الفرنسيين والعرب، حيث لا يمكن لعمل بحثي واحد أن يحيط بمختلف جوانبه. لذلك، ورغبة في استجلاء بعض جوانب هذا المشروع، آثرنا البحث في العمق الفلسفي لهذا القانون، تحديداً في قضية قانونية قديمة حديثة، تتناول موقف المشرع الفرنسي من مبدأ وحدة المسؤولية المدنية أو ثنائيتها⁽¹⁴⁾، محاولين عبر تحليل بعض النقاط القانونية الواردة فيه، تلمس ما إن كان إطاره الفلسفي العام يؤسس لخطوة استشرافية مستقبلية، تمكن من ترسيخ وحدة المسؤولية المدنية ضمن هذا النظام، القائمة أساساً على مبدأ ثنائيتها⁽¹⁵⁾، وذلك عبر البحث

(14) في الحقيقة درج الفقه العربي على إطلاق مصطلح: «ازدواجية المسؤولية» كتعبير دال على كل من المسؤولية التعاقدية والتقصيرية في القانون المدني الفرنسي، ونظراً لكون هذا المصطلح كثيراً ما يختلط مع فكرة ازدواجية المسؤولية القائمة على مدى صحة إمكانية الجمع بين المسؤوليتين في مطالبة قانونية واحدة، آثرنا استخدام عبارة ثنائية المسؤولية كتعبير عن وجود مبدأ قائم على نوعي المسؤولية في القانون المدني الفرنسي، تمييزاً لهذه الفرضية عن فرضية ازدواجية المسؤولية الدال على حالة التداخل بين المسؤوليتين.

G. Viney, Pour une interprétation modérée et raisonnée du refus d'option entre responsabilité contractuelle et responsabilité extracontractuelle: RD McGill 811, Pp. 816-817. Y-M. Laithier, La portée procédurale de la règle du non-cumul des responsabilités contractuelle et délictuelle, Revue des contrats, 2011, p. 51. J-S. Borghetti, L'articulation des responsabilités contractuelle et extracontractuelle, JCPG, suppl. au n° 30-35, 25 juill. 2016, Pp. 15-19. P. Stoffel-Munck, La singularité de la responsabilité contractuelle, JCPG. 2016, supp, n° 30-35.

(15) مما لا شك فيه أن عنوان البحث بذاته سيثير جدلية لدى العديد من فقهاء القانون المدني لاسيما العرب، الذين سيجدون في هذا الطرح مخالفة واضحة لصريح التوجه اللفظي لمشروع القانون، الذي يشير إلى نوعي المسؤولية المدنية. رغم ذلك، فإن القراءة المضمرة لهذا المشروع، تؤكد أن هناك توجهاً متصاعداً نحو توحيد هذه المسؤولية بنظام قانوني واحد، ربما ليس في مشروع القانون ذاته. لكن، وهو المؤكد، أن هذا المشروع، إنما يؤسس لهكذا خطوة تشريعية نحو توحيد نظام المسؤولية المدنية في التشريع الفرنسي. لذلك فقد عنواننا هذا البحث بـ: «الاستشراف المستقبلي لمبدأ «وحدة المسؤولية»، ولم نقل إن ثمة وحدة فعلية اليوم لهذه المسؤولية، ما اقتضى التنويه، علماً بأن الدراسات والأوراق البحثية حول هذه الفكرة كانت ولم تزال موضع نقاش فقهي حاد في التشريع الفرنسي. راجع في ذلك،

A. Tunc, Évolution du concept juridique de responsabilité: Droit et culture, 1996, p. 19s. J-S. Borghetti, La responsabilité du fait des choses, un régime qui a fait son temps: RTD civ. 2010, p. 1s. B. Moron-Puech, Regards critiques sur la consécration du dualisme des responsabilités contractuelle et extracontractuelle. Texte d'une communication présentée pour le revue Tribonien. Une version définitive de ce texte. 2017. «Hal-01651459».

A. G. Castermans, D. Dankers-Hagenaars, A. Dejean de la Batie (dir.), Regards comparatistes sur la réforme de la responsabilité civile, Revue internationale de droit comparé, 1-2017, Pp. 5-44. E. Juen, La remise en cause de la distinction entre la

في «المضمر»، لا «المعلن» من نصوص هذا المشروع!

«المضمر» المُمكن فهمه في توجه استشرافي قائم على توحيد قواعد هذه المسؤولية عبر تخفيف قواعد التباين البيني بين نوعيها؛ لا «المعلن» الذي يشير إلى مبدأ ثنائية المسؤولية المدنية بين التعاقدية وغير التعاقدية من نصوص مشروع هذا القانون. فإن كانت نصوصه شكلياً، وفي أكثر من موضوع تبين أن المشرع الفرنسي ما زال متبنياً لمبدأ ثنائية المسؤولية، مقرأً بذلك بفكرتي المسؤولية التعاقدية والمسؤولية غير التعاقدية⁽¹⁶⁾، إلا أنها موضوعياً، توحى بتنامي اتجاهٍ حدثي يهدف لتوحيد قواعد المسؤولية المدنية.

responsabilité contractuelle et la responsabilité délictuelle, E. Loquin (préf.), LGDJ, 2015.

Y-M. Laithier, La distinction entre les responsabilités contractuelle et extra-contractuelle en droit français : perspectives d'avenir après l'adoption du Nouveau Code civil et commercial argentin, Université de Buenos Aires (UBA), Faculté de Droit, Buenos Aires. 2015. G. Viney, La responsabilité contractuelle en question, Mélanges J. Ghestin, Études offertes à J. Ghestin. Le contrat au début du XXIe siècle, LGDJ, Paris, 2001, Pp. 921-947.

C. Lapoyade-Deschamps, Responsabilité contractuelle ou responsabilité délictuelle (plaidoyer pour un retour aux sources), Responsabilité civile et assurances, n° 10, 1992, Pp. 4-6. J. Huet, Responsabilité contractuelle et responsabilité délictuelle. Essai d'une délimitation entre les deux ordres de responsabilité, Thèse Paris, 1978.

P. Esmein, Obligation et responsabilité contractuelles, in Études offertes à G. Ripert, Le droit privé au milieu du XXème siècle, T. II, LGDJ 1950. P. Esmein, Le fondement de la responsabilité contractuelle rapproché de la responsabilité délictuelle, RTD civ., 1933, p. 627.

(16) حيث أكد مشروع القانون بالنص، أنه لا يمكن للمدين أو للدائن، في حال عدم تنفيذ الالتزام التعاقدية، أن يتجاوز النصوص المتعلقة بالمسؤولية التعاقدية، بغرض تطبيق القواعد الخاصة بالمسؤولية غير التعاقدية، مؤكداً بذلك المبدأ الاجتهادي المستقر في المنظومة الفرنسية منذ القرن التاسع عشر، القائم على عدم الخيار بين المسؤولية التعاقدية وغير التعاقدية، مانعاً بذلك أطراف العقد من التنصل من أحكام المسؤولية التعاقدية وصولاً إلى تطبيق أحكام المسؤولية غير التعاقدية، ما اعتبره البعض إقراراً غير مباشر بازدواجية المسؤولية لا وحدتها، معززا ذلك، بالتناغم التشريعي مع واقع القانون المدني المعدل بموجب قانون العقود والإثبات رقم 10 لعام 2016، الذي حدد، للمرة الأولى، بنص تقنيني مصادر الالتزام بين أربعة من بينها التصرف القانوني والواقعة القانونية، ما شكل إعادة تأكيد للمستقر اجتهاداً بأن المسؤولية التعاقدية ترتبط بالضرورة بالتصرف القانوني «العقد» أو الالتزام الطوعي، والمسؤولية غير التعاقدية ترتبط بالواقعة القانونية «العمل»، كما ترتبط بالقانون. راجع في ذلك،

PLRRC Urvoas, Arts. (1233). "CC. Modifié", Arts. (1100 à 1100-2). Code civil. Voir, not. G. Viney, Introduction à la responsabilité, 3ème éd., 2008, n° 161s.

فرضيةً تحاول هذه الورقة البحثية إثباتها عبر التحليل العمق للمحين رئيسين برزا بوضوح ضمن روح وفلسفة هذا المشروع: الأول يرتبط بهجر المصطلح القانوني الخاص بالمسؤولية التقصيرية لصالح المسؤولية غير التعاقدية، ما عبّر عن رغبة تشريعية مضمرة لتوحيد الغطاء المصطلحي لهذه المسؤولية تحت الغطاء العقدي، (المطلب الأول)، والثاني يفهم بالتراجع الكبير لنظرية الخطأ ضمن نصوص هذا المشروع، على حساب نظرية الضرر التي تعاضم دورها بوضوح، ما اعتبر انتقالاً من النظرية الشخصية التي طالما كانت ركيزة أساسية في تبرير ثنائية المسؤولية، لصالح النظرية الموضوعية التي تعد اليوم إحدى ركائز وحدتها، ما حمل رغبة ضمنية من واضعي المشروع في توحيد قواعد هذه المسؤولية لجهة المساءلة القانونية، (المطلب الثاني).

ونأمل من هذه الدراسة، إلقاء المزيد من الضوء على هذا التوجه الاستشراقي المضمّر، وتبيان ما سيعيد الاعتبار للقانون المدني الفرنسي عامّةً، ولنظرية المسؤولية المدنية خاصةً، كقانون يُمكن الاستلزام منه والاسترشاد به في وضع النصوص القانونية للعديد من الأنظمة القانونية المقارنة، الغربية والعربية، محاولين - ما أمكن ذلك - عرض واقع ومنعكسات هذه التجربة الحداثيّة لرجال القانون والفقهاء العرب، سعياً لفت نظرهم لهذه الجوانب الجديدة ومدى الحاجة لمراجعة الأسس والقواعد التي تقوم عليها نظرية المسؤولية في دولهم، بما يستجيب والموقف المتوقع للمشرع المدني الفرنسي حيال هذه النظرية.

كل ذلك عبر دراسة قانونية تحليلية تأصيلية معمقة، تتناول تحليل الواقع الحالي لنظرية المسؤولية المدنية، مقارنة مع نظيره الاستشراقي المتوقع تبنيه مع مشروع القانون الجديد⁽¹⁷⁾.

(17) يجدر التنويه إلى أنّ البعد المقارن للبحث إنّما يتناول الدراسة المقارنة للواقع التشريعي الحالي لنظرية المسؤولية في بعدها الثنائي مع الواقع الاستشراقي لهذه النظرية في بعدها الموحد، المأمول تبنيه في مشروع القانون، مع العرض لجوانب التمايز المقارن بين نصوص القانون الحالي ومشروع القانون في هذه القضية، بما يخدم هدف البحث وغايته، بما يفرض لفهم أعمق وأدق لهذا المبدأ في القانون المدني الفرنسي.

عليه، لا يتناول البعد التحليلي للبحث التحليل القانوني المعمق لنصوص مشروع القانون مقارنة مع النصوص الحالية لهذه المسؤولية، إلا بما يخدم موضوع البحث، كما لا يتناول التطور التاريخي لموقف الاجتهاد القضائي من هذه القضية، كوننا نبحث بها في جانبها الفقهي لا القضائي. كما لا يتناول البعد المقارن للبحث التقديم لدراسة قانونية مقارنة بين التشريع الفرنسي من جهة والتشريعات الغربية أو العربية المناظرة. واستناداً لذلك، ستكون القاعدة المرجعية للبحث معتمدة، بالدرجة الأولى، على المراجع البحثية الحديثة في القانون الفرنسي.

المطلب الأول

الوحدة لجهة الغطاء المصطلحي:

المسؤولية المدنية من البعد التقصيري إلى البعد غير التعاقدية

المطلع على نصوص مشروع القانون الخاص بإصلاح أحكام المسؤولية المدنية⁽¹⁸⁾، يلاحظ غياب مصطلح: «التقصيري» المعبر عن مفهومي الجريمة وشبه الجريمة المدنية، الركيزتين الرئيسيتين لمفهوم المسؤولية التقصيرية⁽¹⁹⁾، إلى مصطلح آخر هو المسؤولية غير التعاقدية. تحولٌ يمكن أن يقرأ فيه توجه متنام لتوحيد المسؤولية المدنية تحت الغطاء المصطلحي العقدي، وانحسار لفكرة المسؤولية التقصيرية لصالح نظيرتها غير التعاقدية⁽²⁰⁾.

أولاً- وحدة المسؤولية المدنية في المصطلح «العقدي»

مع تكريس مصطلحي المسؤولية التعاقدية وغير التعاقدية في مشروع القانون من جهة، والإبقاء على الأنظمة الخاصة للمسؤولية القانونية التي أضحت تدخل ضمن نطاق المسؤولية غير التعاقدية لا التقصيرية⁽²¹⁾، ستصبح الرؤية العامة لنظرية المسؤولية في

(18) M. Mekki, Le projet de réforme du droit de la responsabilité civile du 13 mars 2017: Des retouches sans refonte. Gazette du Palais, 2017, n° 17, p. 12. M-Ch. Pelras, Réforme du droit de la responsabilité civile: un chantier à poursuivre. In Réforme de la responsabilité civile : suivi du projet, www.editions-legislatives.fr, p. 4s.

ومن قبله قانون إصلاح العقود المقر في عام 2016 المعدل لأحكام القانون المدني N. Dissaux et Ch. Jamin, Réforme du droit des contrats, du régime général et de la preuve des obligation, op, cit. A. Bénabent, Th. Revet, D. Mazeaud, et autres, La réforme du droit des contrats: quelles innovations, Revue des contrats, n° hors-série, 2016, p. 3s.

(19) Ch. Radé, Réflexions sur les fondements de la responsabilité civile - 1. L'impasse, D. 1999, Pp. 313-320. L. Bach, Réflexions sur le problème du fondement de la responsabilité civile en droit français, RTD civ. 1977, Pp. 17-53 et Pp. 221-242. L. Henriot, Note sur la date et le sens du mot responsabilité, Affiches parisiennes, 1977, p. 59.

(20) J. Speroni, Vous ne reconnaissez plus votre code civil! In L'ARGUS de l'assurance, en 12/02/2016. G. Viney, Après la réforme du contrat, la nécessaire réforme du code civil relative à la responsabilité, op, cit. G. Viney, L'espoir d'une recodification du droit de la responsabilité civile, op, cit, p. 1378. G. de Sorbay, Brèves réflexions sur l'attractivité du droit français : la réforme de la responsabilité civile. Published on February 1, 2017.

(21) PLRRC Urvoas, Arts. (1241 à 1244). M. Mekki: Le projet de réforme du droit de la responsabilité civile: maintenir, renforcer et enrichir les fonctions de la responsabilité civile, op., cit., p.17.

القانون المدني الفرنسي تدور بين هاتين المسؤوليتين: التعاقدية وغير التعاقدية، اللتان يظهر «شكلياً» وكأن محورهما العقد، ليصبح الأصل في فكرة المسؤولية المدنية البناء العقدي لا القانوني، سواء أكانا أمام مسؤولية تعاقدية أم غير تعاقدية، في إطار مسؤولية مترتبة عن تنفيذ أو عدم تنفيذ التزام عقدي.

توجه سيحمل بالنسبة لنا وحدة المسؤولية في البعد المصطلحي العقدي، ليبقى السؤال ... هذا التوحيد للمصطلح العقدي، في أي اتجاه يسير نحو المسؤولية العقدية أو غير العقدية، حيث يمكن أن يرى فيه البعض توجهاً نحو توحيد فكرة المسؤولية المدنية بالنظرية التعاقدية، كون العقد سيصبح أساس هذه المسؤولية، في حين يميل البعض الآخر لتبني التحليل المعاكس باعتبار أن الأصل في هذه المسؤولية أن تكون غير تعاقدية⁽²²⁾.

بالنسبة لنا كلا الاستنتاجين غير مقبول من الناحيتين المصطلحية والموضوعية؛ ذلك أن أي تبين لأي من التوجهين سيعيدنا لنقطة الصفر في ثنائية المسؤولية المدنية، وهو الأمر الذي نعتقد أن مشروع القانون حاول تجنبه جاهداً، ذلك أنه، ورغم أن النص القانوني قسّم المسؤولية في مشروع القانون إلى المسؤولية التعاقدية والمسؤولية غير التعاقدية، وكان النص يوحي بتماثل الأحكام والقوى بين كل من المسؤوليتين، بل وحتى بأرجحية المسؤولية التعاقدية على المسؤولية غير التعاقدية، كون التقديم المصطلحي للمسؤولية التعاقدية ورد قبل مثيلاتها غير التعاقدية، إلا أن المطلع على نصوص المشروع يدرك بوضوح تراجع المكانة القانونية للمسؤولية التعاقدية التي أضحت تمثل نظاماً خاصاً

(22) ليجد أصحاب النظرية القائمة على أساس أن المسؤولية هي نتيجة عدم تنفيذ الالتزام مكاناً رحباً لنظريتهم في هذا المجال، بما يؤدي إلى وحدة النظام القانوني في المسؤولية المدنية بوجهها العام بين المسؤولية التعاقدية وغير التعاقدية، لاسيما إذا ما علمنا بالتوجه المتصاعد في الفقه الفرنسي والذي يعتبر أن التعويض عن عدم التنفيذ هو شكل من أشكال التنفيذ، وليس التعويض كونه يترتب نتيجة عدم التنفيذ الأصلي ليحل محله التنفيذ البديل، مع ما يمكن أن يعترض هذا التوجه من نقاط اعتراض، ما سيقرب المدرسة الفرنسية في المسؤولية من المدرسة الأنكلوسكسونية والجرمانية التي لا تعترف بفكرة الازدواجية في المسؤولية المدنية.

Responsabilité civile: une réforme «probablement historique», JCP G, n° 12, 2017, p.

300. G. Viney, L'espoir d'une recodification du droit de la responsabilité civile, op, cit,

p. 1378. M. Mekki, Les remèdes à l'inexécution dans le projet d'ordonnance portant réforme du droit des obligations, Gaz. Pal., Pp. 29-30 avr. 2015, Pp. 41 et 42.

D. Tallon, L'inexécution du contrat: pour une autre présentation, RTD civ 1994,

p.223. Ph. Rémy-Corlay, Exécution et réparation: deux concepts, Revue des contrats,

1 janvier 2005, n° 1, p. 13. Y-M. Laithier, Les règles juridiques relatives à l'évaluation

du préjudice contractuel (Droit anglais, droit français, droit suisse), Revue arbitrage,

2015, p. 361. Y.-M. Laithier, Les règles relatives à l'inexécution des obligations

contractuelles, JCPG 25 mai 2015, suppl. au n° 21, p.47, n°7.

من أنظمة المسؤولية، على حساب المسؤولية غير التعاقدية التي غدت تمثل النظام العام للمسؤولية.

وبالتالي لم تعد المقارنة بين نظامين قانونيين للمسؤولية، وإنما استعراض للنظام العام للمسؤولية المدنية، مع تناول النظام الخاص للمسؤولية التعاقدية. وإن هذا التقديم المصطلحي لعبارة: «التعاقدية» «Contractuelle» على حساب «غير التعاقدية» «Extracontractuelle»، ما هو إلا تقديم اقتضته الضرورة اللغوية في التعبير عن المسؤولية وليس الحجم القانوني لهذه المسؤولية!

فلا يمكن التعبير عن ملحق الكلمة «Extracontractuelle» قبل الحديث عن أصل الكلمة «Contractuelle»، فمشروع القانون يكاد يناقش حقيقةً فرضية واحدة هو النظام العام للمسؤولية المدنية⁽²³⁾، بدءاً من تناول القواعد العامة للمسؤولية، وصولاً إلى الشروط العامة للمسؤولية بنوعيتها، ومن ثم الأحكام الخاصة بالمسؤولية غير التعاقدية، معرّجاً في هذا القسم الأخير على أحكام المسؤولية التعاقدية التي أفرد لها ثلاث مواد قانونية فقط، واحدة منها فقط تناولت تحديد الالتزام القانوني بالتعويض⁽²⁴⁾، بل إنه، ولو فرضنا أن المشرع الفرنسي قد أغفل ذكر عبارة التعاقدية وغير التعاقدية، في العناوين الخاصة بالتبويب القانوني الخاص بهذا القسم، لوجد المطلع عليها أن العناوين الرئيسية تنطبق بشكل أو بآخر على مختلف حالات المسؤولية كنظام عام يحكم مختلف حالات المسؤولية إلا ما استثنى منها بنص قانوني خاص.

ثانياً- تراجع فكرة «المسؤولية التقصيرية» لصالح «المسؤولية غير التعاقدية»

الغياب المصطلحي لـ: المسؤولية التقصيرية من نصوص مشروع القانون، أثار السؤال حول ماهية وحدود هذا الهجر، هل هو مجرد هجر مصطلحي، أو هو في حقيقته هجر منهجي؟ بمعنى هل نحن أمام استعاضة مصطلح بآخر يفني بمضمون الأول، أم نحن أمام إحلال نظام مسؤولية بنظام مسؤولية جديد؟ قد يبدو السؤال مستغرباً، لكنه يبقى مشروعاً.

وللإجابة عن هذا السؤال، لا بد من العلم بأن هذا الهجر لم يكن الأول، فقد سبقته محاولات فقهية⁽²⁵⁾ وتشريعية عديدة، كالتعديل الخاص بأحكام قانون العقود لعام 2016

(23) PLRRC Urvoas, Arts. (1233 à 1249). Pour plus d'informations voir, Vers une réforme d'ensemble du droit de la responsabilité civile, Consultation de la chancellerie, Rapport de D. Norguet, Chambre de commerce et d'industrie de Paris, 12 janvier 2012.

(24) PLRRC Urvoas, Arts. (1250 à 1252).

(25) G. Durry, Mireille Bacache-Gibeili, La responsabilité civile extracontractuelle. Droit

الذي أُلغى هذا المصطلح من نصوص القانون في إطار المسؤولية التعاقدية⁽²⁶⁾، وقد سبقه لذلك التعديل الذي جرى حول نظرية التقادم في عام 2008، والذي أُلغى بالمطلق فكرة التمييز بين المسؤولية التعاقدية والتقصيرية، بحيث أصبح التقادم على الالتزام هو واحد بغض النظر عن أصل هذا الالتزام⁽²⁷⁾.

هذه التوجهات التشريعية وغيرها، تؤكد أن هذا التعديل ليس مجرد تعديل مصطلحي. فعدا عن أن فكرة المسؤولية التقصيرية، أوضحت في الجانب المصطلحي على الأقل، غير موجودة في القانون المدني الفرنسي، فإن هذا الجهد يُعبّر عن محاولة جديدة لفصل الجانب الجنائي في القانون عامةً عن الجانب المدني، وتحييد القانون المدني عن هذا الخط الذي صاحب التطور التاريخي لنظرية المسؤولية التي ابتدأت في إطار التعويض عن الجانب الجنائي للجرم الجنائي، بدلاً من الأخذ بالثأر، ولم تنفصل عنه إلا لاحقاً، حينما ربط التعويض بالفعل المدني، الذي بقي معتبراً بحكم الجرم المدني إن كان متعمداً، وشبه الجرم المدني إن كان غير متعمد⁽²⁸⁾.

بالتالي فإن فكرة المسؤولية القائمة على شبه الجريمة، هذا المفهوم المصطلحي الراسخ في القانون المدني الفرنسي سيختفي ليحل محله غير التعاقدية، بحيث إن المسؤولية في إطارها العام ستصبح إما تعاقدية أو غير تعاقدية، بعد أن كانت تعاقدية أو تقصيرية. وعليه إما أن نكون أمام مسؤولية أساسها العقد «الإرادة»، وهي المسؤولية التعاقدية، أو أن نكون أمام مسؤولية أساسها خارج العقد «غير إرادية»، ما يجعل من عملية الربط بين نظرية الالتزام ونظرية المسؤولية أكثر ارتباطاً من أي وقت مضى.

civil, sous la direction de Christian Larroumet, Les obligations, T. V, Economica, 2007, 783. P.». RTD Civ. 2008, p. 367. Vers une «Modernisation» du droit de la responsabilité civile en Europe. Responsabilité contractuelle et responsabilité extra-contractuelle: évolution et crise d'une distinction, Intervention de Francesco D. Busnelli et Francesca grerca.univ-rennes1.fr/280031_F.D.BUSNELLIetF.GIARDINA.pdf

(26) L'ordonnance, n° 2016-131, 10 févr. 2016, op, cit. "CC. Modifié", Arts. (1100-2). F. Ancel, La loi n°2008-561 du 17 juin 2008 portant réforme de la prescription, Gazette du Palais, Paris, 12 juillet 2008, n°194, p. 2s.

(27) Loi n° 2008-561 du 17 juin 2008 portant réforme de la prescription en matière civile. JORF n° 0141. 18 juin 2008 p. 9856. "CC. Modifié", Arts. (2219 à 2278).

(28) F. Chabas, Cent ans de responsabilité civile, Gazette du Palais, 2000, n° 237, p. 2. Ph. Delebecque et F.-J. Pansier, Droit des obligations, volume II: responsabilité civile, délits et quasi-délits, Lexisnexis, coll. Objectif droit, 7^{ème} éd. 2016. C. Beraud, Responsabilité civile, Gazette du Palais, n° 257, 2012, p. 26. L. Henriot, Note sur la date et le sens du mot responsabilité, op, cit, 1977, p. 59. M. Villey, Esquisse historique sur le mot responsable, T. XXII : Arch. phil. dr. 1977, p. 44s. Ph. Brun, Responsabilité civile extracontractuelle: LexisNexis, 2016. 4e éd., n° 1s.

فالمسؤولية التعاقدية أساسها العقد، إن لجهة الالتزام به أو الإخلال بالالتزام به، بينما المسؤولية غير التعاقدية أساسها الإخلال بالالتزام القانوني بعيداً عن أي دور للإرادة في هذا المجال⁽²⁹⁾. حقيقة رغم أهميتها، إلا أن التحول المترتب جراءها لن يقف عندها. فهذا الأخير، سترتب عليه كذلك، قلب الموازين القانونية في مفهوم المسؤولية التقصيرية بحد ذاتها، التي ستصبح تركة قانونية تحوزها في الوقت الراهن، المسؤولية غير التعاقدية، ما سيعيد ترتيب الأدوار في قواعد المسؤولية المدنية في القانون المدني الفرنسي لتصبح: تعاقدية وغير تعاقدية، بعد أن كانت تعاقدية وتقصيرية، مع ما يحمله ذلك من تراجع في المركز القانوني للمسؤولية التقصيرية لحساب غير التعاقدية.

فبعد أن كانت المسؤولية التقصيرية، تمثل المرتكز الرئيس في نظام المسؤولية المدنية في النظام المدني الفرنسي، كونها كانت تشمل كل ما هو خلاف المسؤولية التعاقدية، سواء في إطار التقصير في تطبيق الالتزام المرتبط بالعملية التعاقدية وليس ضمن العقد، ونعني بذلك المراحل السابقة على التعاقد؛ أو في الالتزام القانوني خارج العقد، أضحت اليوم المسؤولية غير التعاقدية هي من حل محلها في مختلف هذه الحالات.

رغم ذلك فإن هذا التحول لا يخلو من انتقادات عديدة، لاسيما في مدى دقة المصطلح القانوني للمسؤولية غير التعاقدية في التعبير عن مختلف أشكال المسؤولية غير المرتبطة بالعقد، ذلك أن هذا المصطلح: «المسؤولية غير التعاقدية»، يوحي وكأنه يجب أن يكون هناك ارتباط بين هذه المسؤولية والفعل المعاقب عليه، وبالتالي أن يكون في منشئه امتداد لأصل العقد، بمعنى أن أصل هذه المسؤولية واحد هو العملية التعاقدية.

فهناك التزامات يحكمها العقد، وبالتالي تخضع للمسؤولية التعاقدية، والتزامات متعلقة بالعقد، لكن لا يحكمها العقد، وبالتالي يتم تأطيرها في إطار المسؤولية غير التعاقدية. إلى هنا التحليل صحيح، كوننا نتحدث عن التزامات لطرفين سبق أن أسست بينهما علاقة أساسها التزام عقدي، لكن ما هو واقع الالتزامات التي لا سابق علاقة بين الطرفين، هل تندرج تحت نطاق المسؤولية غير التعاقدية؟ مما لا شك فيه أنها، ووفق التصور الأولي لمشروع القانون، الذي اعتبر المسؤولية غير التعاقدية، المسؤولية التي تترتب نتيجة

(29) مما لا شك فيه أن هذا التحول في مفهوم النظرية، وهذا الربط بين الإرادي وغير الإرادي، إنما ينسجم بشكل كبير مع الإطار الفلسفي لنظرية الالتزام القائمة على البعد الإرادي للالتزام «التصرف القانوني» والبعد اللإرادي له «الواقعة القانونية»، الأمر الذي كرسه المشرع في تعديل القانون لعام 2016، حينما ميز في مصادر الالتزام. راجع في ذلك:

L'ordonnance, n° 2016-131, 10 févr. 2016, op, cit. "CC. Modifié", Arts. (1100 à 1100-2). A. Bénabent, Th. Revet, D. Mazeaud, et autres, La réforme du droit des contrats: quelles innovations, op, cit.

التزام غير عقدي، ببعديه الخاص، المرتبط بعقد، والعام غير المرتبط بعقد، تندرج تحتها، لكن هل هذا التوجه صحيح؟

لا نعتقد ذلك، فإن كانت هذه العلاقة غير التعاقدية تندرج تحت مسمى العلاقات غير التعاقدية؛ وهذا حق، إلا أنها من وجهة نظرنا، لا تندرج تحت نطاق مصطلح المسؤولية غير التعاقدية! ذلك أن فكرة المسؤولية التعاقدية، إن كانت توحى حقيقةً ارتباطها بالعقد، فإن فكرة المسؤولية غير التعاقدية، قد توحى كذلك حقيقةً ارتباطها بالعقد كأصل، وعدم ارتباطها به كاستثناء، بمعنى الإخلال بالتزام غير تعاقدية ناشئ عن التزام تعاقدية، أو الإخلال بالتزام غير تعاقدية غير مرتبط بعقد، وإنما مرتبط بقانون. وهنا أيهما أصح: القول بأن هذه المسؤولية غير تعاقدية... أو القول بأنها مسؤولية قانونية؟

بالنسبة لنا التعبير الأكثر دقة هو القول باعتبارها مسؤولية قانونية وليس غير تعاقدية، فأصلها لا علاقة له بالعقد أو حتى بالإرادة التي هي المعبر عن العقد، بل مصدرها ومحورها هو القانون، كما أنها لا تقوم بحال من الأحوال على الخطأ وإنما على التقصير؛ لسبب بسيط، هي انعدام هذا الأخير في هذه الفرضية، فالخطأ يتناول قضية العلم أو عدمه بمشروعية أو عدم مشروعية الفعل المقترف، بينما التقصير إنما يتناول العلم بالقانون والتقصير في تطبيقه، وهو الأمر الذي يفترضه المشرع بموجب إقرار النص التشريعي، استناداً لقاعدة أن لا جهل بالقانون⁽³⁰⁾.

لذلك نعتقد أن فكرة المسؤولية القانونية التي تعد اليوم أحد أشكال المسؤولية غير التعاقدية «التقصيرية سابقاً»، لم ولن تقوم على فكرة الخطأ، وإنما على فكرة التقصير في تطبيق القانون، أو بالأصح عدم احترام القواعد القانونية ذات العلاقة، ما يطرح السؤال حول طبيعة التكييف القانوني لهذه المسؤولية، الأمر الذي يقودنا لاستنتاج أكثر دقة، ربما يتبناه المشرع الفرنسي في قادم الأيام، قد يترتب عليه قلب الموازين القانونية في مفهوم المسؤولية التقصيرية بحد ذاتها، التي ستصبح تركبة قانونية يتقاسمها كل من المسؤولية غير التعاقدية والمسؤولية القانونية التي لا يمكن اعتبارها أحد مكونات المسؤولية غير التعاقدية، ما سيعيد مجدداً ترتيب الأدوار في قواعد المسؤولية المدنية في القانون المدني الفرنسي لتصبح ثلاثية الأقطاب: تعاقدية، وغير تعاقدية، وقانونية؛ بعد أن كانت ثنائية الأقطاب تعاقدية، وتقصيرية، وأضحت في وقتنا الحالي تعاقدية، وغير

(30) B. Karsenti, Nul n'est censé ignorer la loi, Archives de Philosophie, vol. T. 67, n° 4, 2004, Pp. 557-581. P. Gougeon, Nul n'est censé ignorer la loi. La publication au Journal officiel: genèse d'un mode d'universalisation de la puissance publique. In: Politix, vol. 8, n°32, Quatrième trimestre 1995, Le pouvoir des légistes, Pp. 66-88.

تعاقدية، مع ما يحمله ذلك من إعادة توازن في المراكز القانونية لهذه الأنواع الثلاثة من المسؤولية التعاقدية، وغير التعاقدية، والقانونية.

وكنا نأمل لو أن واضعي المشروع، فيما لو أرادوا تبسيط قواعد نظرية المسؤولية المدنية، اكتفوا باعتبار قواعد المسؤولية غير التعاقدية القائمة على الإخلال بالالتزام القانوني مسؤولية قانونية، الأمر الذي نوّه إليه مشروع القانون، من خلال عرضه لمختلف أشكال هذه المسؤولية التقليدية والحديثة، والتي اعتبرها شكلاً من أشكال المسؤولية غير التعاقدية⁽³¹⁾.

هذا الإغفال هو ما أوقع المشروع في حالة من التعقيد المأسوف عليه، ففي الوقت الذي اعتقد القائمون على مشروع القانون، أنهم بهذه العملية، بسّطوا من تطبيق أحكام هذه المسؤولية، فهم قد زادوا من تعقيدها، بضم المسؤولية القانونية للمسؤولية غير التعاقدية، وبإخفاء مصطلح المسؤولية التقصيرية، مع كل الإرث الفقهي والقانوني العريق لهذا المصطلح في النظرية اللاتينية لما يزيد عن المائتي عام، دون أن يبيّنوا الحدود الفاصلة بين مختلف هذه المسؤوليات الثلاث.

غموضٌ نأمل أن يتاح للمشرع الفرنسي إعادة النظر فيه قبل إقرار مشروع هذا القانون، علماً بأن هذا التحليل بمكوناته، لا يعني بحال من الأحوال أننا نعارض هذا التحول التاريخي في نظرية المسؤولية المدنية في التشريع المدني الفرنسي، أو أننا نؤسس لتعددية ثلاثية في المسؤولية المدنية، ولكن كنا نأمل لو أن هذا التحول تم بطريقة أكثر سلاسة ووضوحاً، لاسيما في توضيح المفاهيم المصطلحية لهذه المسؤوليات والتقسيمات القانونية الخاصة بها، لا لجهة آثارها وإنما لجهة مصدرها، بين المسؤولية التعاقدية والمسؤولية غير التعاقدية، وصولاً للمسؤولية القانونية.

(31) PLRRC Urvoas, Arts. (1241 à 1249). F. Leduc, Les concours entre les régimes spéciaux et le droit commun Responsabilité civile et assurances n° 2, Février 2012, dossier 10. S. Mauclair, Recherche sur l'articulation entre le droit commun et le droit spécial en droit de la responsabilité civile extracontractuelle, Thèse Orléans 2011, p. 143, n° 164. F. Leduc, L'œuvre du législateur moderne: vices et vertus des régimes spéciaux in La responsabilité civile à l'aube du XXIe siècle, Resp. civ. et assur 2011, hors-série, p. 50 et s., spéc. p. 52.

المطلب الثاني

الوحدة لجهة المساءلة القانونية:

المسؤولية المدنية من نظرية «الخطأ» إلى نظرية «الضرر»

من المعلوم أن المسؤولية المدنية في التشريع المدني الفرنسي تقوم بمفهومها العام على ركائز قانونية ثلاث هي: الخطأ والضرر والعلاقة السببية بينهما⁽³²⁾، ومن المعلوم يقيناً أن النظرية الفرنسية في تأصيلها الفلسفي الكنسي، إنما تقوم في تحديد التكييف القانوني لفكرة المسؤولية على النظرية الشخصية المؤسسة بالاستناد لفكرة الخطأ، مميزةً بذلك، بين الخطأ العقدي الذي يرتب المسؤولية التعاقدية، والخطأ التقصيري الذي يرتب المسؤولية التقصيرية⁽³³⁾، الذي أصبح في مشروع القانون معرفاً بالخطأ غير التعاقدية الذي يرتب المسؤولية غير التعاقدية. رغم ذلك، فإن الانحرافات التي طرأت على هذه النظرية، منذ بدايات القرن التاسع عشر وحتى يومنا هذا تضع هذه النظرية وثباتها في موضع الشك⁽³⁴⁾، الأمر الذي برز بوضوح في مشروع القانون، الذي شهد تراجعاً لنظرية الخطأ، ركيزة النظرية الشخصية، وتعاضلاً لنظرية الضرر، عماد النظرية الموضوعية للمسؤولية⁽³⁵⁾.

(32) S. Carval et G. Viney et P. Jourdain, Les conditions de la responsabilité: Traité de droit civil, 4e éd., LGDJ, Paris, 2013, p. 297.

(33) مع تحفظنا على الواقع القانوني لهذا الأخير في مشروع القانون وفق ما سبق وبيّناه في البحث. C. Ophèle, Faute délictuelle et faute contractuelle, Responsabilité civile et assurances, n° 6, 2003, Pp. 78-83. D. Tallon, Pourquoi parler de faute contractuelle ? Mélanges G. Cornu, Droit civil – procédure - linguistique juridique: écrits en hommage à Gérard Cornu, textes réunis et publiés par J. Beauchart et P. Couvrat, Paris, PUF, 1994, Pp. 429-439. P. Esmein, Le fondement de la responsabilité contractuelle rapproché de la responsabilité délictuelle, op, cit, p. 627.

(34) Ph. Pierre, La place de la responsabilité objective, Notion de rôle de la faute en droit français. Revue Lamy Droit civil, Wolters Kluwer France - Les Éditions Lamy, 2010, Pp.16-25. Ph. Rémy, Critique du système français de responsabilité civile, Droit et Cultures, 1996, p. 31. Ph. Rémy, La responsabilité contractuelle : histoire d'un faux concept, RTD civ. 1997, p. 323.

(35) Pour plus d'informations voir, Ph. Stoffel-Munck, C. Bloch et M. Bacache, Responsabilité civile, Chro, JCP E, n° 9-10, 26 Février 2018, doct. 262. M. Mekki, Le projet de réforme du droit de la responsabilité civile: maintenir, renforcer et enrichir les fonctions de la responsabilité civile, op, cit, p.17. «Tout fait quelconque de l'homme, qui cause à autrui un dommage, oblige celui par la faute duquel il est arrivé à le réparer». Art. (1240). "C.C. Modifié 2018". Ancienne article (1382).

أولاً- تراجع نظرية الخطأ

نقطتان محورتان يمكن لحظهما في مشروع القانون، الأولى تتناول تراجع مفهوم الخطأ كقاعدة للمسؤولية المدنية، والثانية غياب اعتبار الخطأ كركن من أركانها.

1. الخطأ كمفهوم

بعيداً عن التعريفات الفقهية المتعددة لفكرة الخطأ⁽³⁶⁾، والتي أسهمت في بلورة هذه الفكرة، فمن المؤكد أن هذه النظرية في الوقت الحالي، إنما تقوم على ربط التكيف القانوني للخطأ بالضرر، وفق القاعدة القانونية الأكثر شهرة في القانون المدني الفرنسي: «كل عمل من أحد الناس، ينجم عنه ضرر للغير يجبر من حصل بخطئه على التعويض»⁽³⁷⁾، بمعنى أن الفعل الخاطئ بذاته، دون إحداثه لضرر لا يعتبر وفق القانون المدني الحالي بمثابة خطأ، فالفعل غير المشروع يجب أن يقترن بالضرر ليحوز صفة الخطأ. عليه، الفعل غير المشروع الذي لم يترتب عليه ضرر، لا يعتبر خطأً بالمعنى المدني، كونه لا يوجد متضرر منه، وبالتالي لا يوجد تعويض⁽³⁸⁾.

هذه القاعدة القانونية للربط بين الخطأ والضرر، وهذا التوصيف القانوني لفكرة الخطأ، لم يعد لهما وجود في مشروع القانون المدني الحالي، كون الخطأ لم يعد شرطاً لتحقيق

(36) Pour plus d'informations voir, J. Lagoutte, La faute dans l'avant-projet de réforme de la responsabilité civile, Responsabilité civile et assurances, 2017, étude 2. Ch. Radé, L'impossible divorce de la faute et de la responsabilité civile, D. 1998, chron, n° 16. Pp. 301-305. M. Planiol, Etude sur la responsabilité civile : du fondement et de la responsabilité civile, Rev. Crit de lég et juris, 1905, p. 277. M. Planiol, Identité des fautes civiles et contractuelles. Unité des systèmes de responsabilité, D. 1896. II., p, 457. F. Arhab, Les nouveaux territoires de la faute, Responsabilité civile et assurances, 2003, Pp. 43-55.

(37) «Tout fait quelconque de l'homme, qui cause à autrui un dommage, oblige celui par la faute duquel il est arrivé à le réparer».

(38) ولعل كلمة بسيطة لتوضيح الفاصل بين الخطأ والفعل الخاطئ تبدو ضرورية لفهم سير الأمور. فالخطأ هو كل فعل غير مشروع ترتب عليه ضرر، بمعنى أنه بالضرورة الفعل الضار «الإيذاء المقصود أو غير المقصود»، بينما الفعل الخاطئ هو كل عمل غير مشروع لم يترتب عليه ضرر، «تجاوز إشارة المرور في شارع منعزل». وإن كان الأول يوجب التعويض وعليه يعتبر خطأً بالمفهوم المدني، فإن الثاني لا يعتبر خطأً بالمفهوم المدني كونه لم يترتب عليه ضرر يوجب التعويض، علماً بأن عدم اعتباره خطأً بالمعنى القانوني المدني لا ينفي كونه خطأً بالمعنى القانوني في قوانين أخرى، ذلك أن هذا الفعل يبقى مجرماً ومعاقباً عليه في القانون الجنائي على سبيل المثال، ليس في إطار التعويض وإنما في إطار الغرامة، أو تقييد الحرية.

F. Arhab, Les nouveaux territoires de la faute, Responsabilité civile et assurances, op, cit, Pp. 43-55. J-A. Nicod, Le concept d'illicéité civile à la lumière des doctrines française et suisse, Thèse, Lausanne, 1988.

المسؤولية⁽³⁹⁾. موقفٌ قد يبدو مستغرباً، ولكنه في حال تبني مشروع القانون، سيغدو واقعاً.

نعتقد أن استعراضاً بسيطاً للموقف القانوني الحالي، مقارنةً بالموقف المستقبلي، يساعد بشكل كبير في فهم التحول الذي حصل في مشروع القانون، فإن كان القانون الحالي يبيّن المسؤولية على أساس الفعل الخاطيء الذي ترتب عليه ضرر، معتبراً أن لا ضرر من دون خطأ وأن لا خطأ من دون ضرر، مشدداً على أن الضرر هو شرط لصحة التوصيف القانوني للفعل كخطأ يوجب التعويض. والفعل الخاطيء لا يعتبر خطأ ما لم يترتب عليه ضرر يوجب التعويض، رابطاً بين المفهومين بشكل شبه وثيق، بحيث لم تكن ثمة مفاضلة بين الأمرين، بل سعياً دائماً إلى أن تسيّر الفكرتان معاً، موسعاً من فكرة الخطأ، لينتقل المشرع الفرنسي من الخطأ المثبت إلى الخطأ المفترض، وما بينهما من خطأ قابل لإثبات العكس، وآخر غير قابل لإثبات العكس.

ولم يقبل بنظرية تحمل المخاطر إلا على سبيل الاستثناء وفي نطاق ضيق⁽⁴⁰⁾، ليغدو المحرك الأول لفكرة المسؤولية إثبات الخطأ لا وجود الضرر. وكان على طالب التعويض أن يثبت أمرين: الأول كون الفعل خاطيء، والثانية وجود الضرر، بمعنى أن تحقق الضرر هو قرينة على وجود الخطأ الذي يحتاج بدوره لإثبات، فالفرضية تنطلق من الخطأ وصولاً للضرر، هذه المعادلة في مشروع القانون لم تنقلب، بل ألغيت، بمعنى أن المشرع لم يعد يشترط قيام الضرر للبحث في الخطأ، فالفعل المنسوب للشخص قد يكون خطأً يوجب التعويض، وقد لا يكون خطأً، وبالرغم من ذلك يجب التعويض⁽⁴¹⁾.

ولعل ذلك كان وراء اختلاف التكييف القانوني للفعل الموجب للتعويض في كل من

(39) Pour plus d'informations voir, Ph. Stoffel-Munck et C. Bloch et M. Bacache, Responsabilité civile, op, cit. A. G. Castermans, D. Dankers-Hagenaars, A. Dejean de la Batie (dir.), Regards comparatistes sur la réforme de la responsabilité civile, op, cit. J. Lagoutte, La faute dans l'avant-projet de réforme de la responsabilité civile, op, cit. N. Dissaux, Quelles réformes pour la responsabilité civile? AJ contrat 2017, p.169. Vue d'ensemble de l'avant-projet de réforme de la responsabilité civile, D. 2016, n° 32s, p. 1386. S. Borghetti, L'avant-projet de réforme de la responsabilité civile, D. 2016, p.1442. C. Bloch, Définition de la faute in Pour une réforme du droit de la responsabilité civile, Dalloz, coll. Thèmes et commentaires, 2011, p.101, spé. p.104. C. Bloch, La cessation de l'illicite. Recherche sur une fonction méconnue de la responsabilité civile, Dalloz, coll. Nouvelle bibl. de thèses, 2008, vol. 71. G. Viney, Cessation de l'illicite et responsabilité civile, Mélanges en l'honneur du professeur G. Goubeaux, p. 547 et s.

(40) Ph. Pierre, La place de la responsabilité objective, Notion de rôle de la faute en droit français, op, cit, Pp.16-25

(41) علماً بأن الأول هو تعويض عن أذى، والثاني هو «تعويض» عن انتفاع.

المسؤولية غير التعاقدية والتعاقدية ضمن نصوص هذا المشروع، ففي حين اعتبره بمثابة الخطأ في المسؤولية غير التعاقدية⁽⁴²⁾، كَيْفَ ذلك الفعل في المسؤولية التعاقدية بمجرد النكول عن تنفيذ الالتزام⁽⁴³⁾.

ضمن هذا التوصيف، فإن نظرية المسؤولية غير التعاقدية عن الفعل الشخصي في مشروع القانون قد سجلت تحولاً يستحق الإشادة، ما بين النص القانوني الحالي الذي يقضي، بأن كل فعل ينجم عنه ضرر للغير يلزم من أحدث الخطأ بالتعويض⁽⁴⁴⁾، والنص المقترح في مشروع القانون الذي يقضي بأن الشخص مسؤول عن الضرر الناجم عن خطأه⁽⁴⁵⁾.

فمما لا شك فيه أن النص المقترح أكثر وضوحاً من الحالي بتركيزه على التوصيف المسبق للفعل الخاطئ، كما في تحديده بشكل واضح لما يمكن أن يعتبر خطأً، بينما النص الحالي لا ينطلق من فكرة الخطأ في الفعل إلا في حال كونه ترافق مع الضرر، بمعنى أنه لا يمكن تكييف الفعل الذي قام به الشخص بكونه خاطئاً، إلا إذا ترتب عليه ضرر. فتوصيف الخطأ للفعل يقترن مع الضرر، والدليل أن المشرع الحالي اعتبر كل فعل، ولم يقل كل خطأ. فالفعل، أي فعل، إذا ترتب عليه ضرر للغير، ينقلب لخطأً يوجب التعويض، بينما النص المقترح في مشروع القانون، أكثر بساطة ومباشرة من جهة، وأكثر فاعلية من جهة أخرى، فهو أكثر مباشرة من حيث التوصيف القانوني للفعل بالخطأ، مع تحديد ما هو الخطأ⁽⁴⁶⁾، وأكثر فاعلية لجهة عدم اشتراط الخطأ كركن من أركان تحقق المسؤولية، بحيث إن المسؤولية تتحقق بمجرد تحقق الضرر لا قيام الخطأ⁽⁴⁷⁾.

أما بالنسبة للتكييف القانوني للفعل الموجب للتعويض في المسؤولية التعاقدية، فمشروع القانون لم يشير لمفهوم الخطأ، وإنما لمفهوم النكول عن التنفيذ، معتبراً أن أي عدم تنفيذ للعقد تسبب في إلحاق الضرر بالدائن يجبر المدين على التعويض⁽⁴⁸⁾، ما يعزز من تحول مفهوم الخطأ، وهو الأمر الذي نثني عليه. لكن من الملاحظ أن نص المادة المقترح، ربط الحق بالتعويض بترتب الضرر، وكأن منطق النص أن عدم التنفيذ الذي لا يلحق ضرراً بالدائن، لا يوجب التعويض.

(42) On est responsable du dommage causé par sa faute. PLRRC Urvoas, Art. (1241).

(43) Toute inexécution du contrat ayant causé un dommage au créancier oblige le débiteur à en répondre. PLRRC Urvoas, Art. (1250).

(44) Art. (1240). "C.C. Modifié 2018". Ancienne article (1382).

(45) «On est responsable du dommage causé par sa faute». PLRRC Urvoas, Art. (1241).

(46) PLRRC Urvoas, Arts. (1241-1242).

(47) PLRRC Urvoas, Arts. (1235-1240).

(48) «Toute inexécution du contrat ayant causé un dommage au créancier oblige le débiteur à en répondre». PLRRC Urvoas, Arts. (1250).

وبالتالي فكرة التعويض هنا، لا تقوم بالنسبة للفعل بذاته وإنما لأثر الفعل، بمعنى أن مجرد النكول لا يوجب التعويض ما لم يقترن بالضرر، وبالتالي شرط الحصول على التعويض هو الضرر وليس مجرد النكول⁽⁴⁹⁾. بالتالي ضمن هاتين الفرضيتين يمكن القول، إن مفهوم الشرط الموجب للتعويض في المسؤولية غير التعاقدية والفعل الموجب للتعويض في المسؤولية التعاقدية واحد وهو الضرر، وإن اختلف كلاهما، في أن الأول كَيْفَهُ مشروع القانون بكونه خطأً، بينما الثاني، صمته عنه المشروع الفرنسي معتبراً إياه بمثابة النكول عن التنفيذ، الأمر الذي يدعمه موقف المشروع من استبعاد الخطأ عن اعتباره من أحد شروط المسؤولية⁽⁵⁰⁾، كما سنبين تالياً.

2. الخطأ كركن

الخطأ كركن من أركان نهوض المسؤولية المدنية، ورغم أنه من الناحية التأصيلية والنظرية يُعدُّ واحداً من شروط قيامها، إلا أن المشرع المدني الفرنسي لم يشر إليه في مشروع القانون، لا ضمن الأحكام العامة للمسؤولية⁽⁵¹⁾، ولا حتى ضمن الشروط العامة للنهوض بالمسؤولية، المعتبرة فقهاً بمثابة أركان المسؤولية، حيث أشار المشروع لشروطين رئيسيين هما: الضرر والعلاقة السببية⁽⁵²⁾، ما يستتبع القول، إن الخطأ لم يُعدَّ شرطاً عاماً للنهوض بالمسؤولية.

ففي إطار الشرط الأول، اعتبر المشروع الضرر الركن الرئيس لهذه المسؤولية، مؤكداً أن كل ضرر محقق ناجم عن اعتداء على مصلحة مشروعة، مالية أو معنوية، يجب تعويضه⁽⁵³⁾. والنص هنا عام يشمل كل ضرر، سواء في إطار المسؤولية التعاقدية أو غير التعاقدية. والملاحظ أن النص تحدث عن الضرر المترتب على الاعتداء على مصلحة مشروعة. وبالتالي هو تحدث عن نتيجة الفعل وليس مصدر الفعل، ما يوحي بوضوح غياب فكرة الاعتداد بفكرة الخطأ، كأحد أركان هذه المسؤولية، لكن هذا لا يعني أن الضرر هنا لا يقع دونما فعل يُنسب لشخص ما، بل على العكس هناك فعل ما، لكنه ليس

(49) Pour plus d'informations voir, Ch. Larroumet, L'intensité de l'obligation dans la responsabilité contractuelle. Avant-projet de réforme de la responsabilité civile. JCP G, n° 40, 2016, p, 1031.

(50) PLRRC Urvoas, Arts. (1230-1240).

(51) PLRRC Urvoas, Arts. (1233-1234).

أشار المشرع المدني لقاعدتين رئيسيتين: الأولى تناولت مبدأ عدم الخيار بين المسؤوليتين، والثانية تناولت موضوعي التعويض عن الضرر الجسدي والضرر الواقع على الغير.

(52) PLRRC Urvoas, Arts. (1235-1240).

(53) "Est réparable tout préjudice certain résultant d'un dommage et consistant en la lésion d'un intérêt licite, patrimonial ou extrapatrimonial". PLRRC Urvoas, Art. (1235).

بالضرورة أن يندرج تحت مفهوم الخطأ.

وهذا ما أكده الشرط الثاني لنهوض هذه المسؤولية، ونعني به علاقة السببية، التي قضت بأن المسؤولية تفترض وجود علاقة بين الفعل المنسوب للمدعي عليه والضرر. وبالتالي مشروع القانون المشرع لم يقرن الفعل بالخطأ، ولم يبين عليه كأحد شروط نهوض هذه المسؤولية⁽⁵⁴⁾. استنتاج، قد يرى فيه البعض مجافاةً لمنطق الأمور؛ إذ كيف يمكن أن تقع المسؤولية دون خطأ؟!

وهنا نود التوضيح، أن قولنا بانتفاء اعتبار الخطأ كركن من أركان هذه المسؤولية لا يعني انتفاء وجوده، بل قد يكون موجوداً، كما قد لا يكون موجوداً، لكن في الحالتين تنهض المسؤولية، بمعنى أن انتفاء وجوده لا ينفي وجود المسؤولية، في حين أن انتفاء وجود الضرر ينفي هذه المسؤولية من الناحية المدنية، فالعبرة لتحقيق المسؤولية هي للضرر وليس للخطأ، كما ليست للخطأ والضرر، فالضرر - والضرر وحده - يكفي لتحقيق هذه المسؤولية.

كذلك قد يرى البعض في هذا التحليل رأياً ينافي منطق الأمور، لاسيما حينما أكد المشرع الفرنسي في مشروع القانون في نطاق المسؤولية غير التعاقدية بأن الشخص مسؤول عن الضرر الناجم عن خطئه⁽⁵⁵⁾. وأكد في نطاق المسؤولية التعاقدية بأن أي عدم تنفيذ للعقد تسبب في إلحاق الضرر بالدائن، يجبر المدين على الرد⁽⁵⁶⁾.

وهنا لا ننكر أن مشروع القانون تحدث عن مفهوم الخطأ وما يُعدُّ خطأً في المسؤولية غير التعاقدية⁽⁵⁷⁾، كما بيّن متى ينهض التزام المدين في المسؤولية التعاقدية⁽⁵⁸⁾، لكنه لم يتناول هذه الفرضيات باعتبارها من شروط المسؤولية، إنما من الأحكام الخاصة بكل نوع من أنواع المسؤولية، ولو أن المشرع ارتأها كشرط لكان ناقشها في ضوء الشروط العامة لهذه المسؤولية، بل على العكس إن مشروع القانون ناقش فرضية الخطأ في المسؤولية غير التعاقدية باعتبارها واحدة من الوقائع المفضية لهذه المسؤولية، حيث ناقش فيها تحت عنوان: «الخطأ»، المسؤولية الشخصية للشخص، موضحاً أن الشخص مسؤول

(54) Pour plus d'informations voir, M. Mekki : Le projet de réforme du droit de la responsabilité civile : maintenir, renforcer et enrichir les fonctions de la responsabilité civile, op, cit, p.17.

(55) PLRRC Urvoas, Art. (1241).

(56) PLRRC Urvoas, Art. (1250).

(57) «Constitue une faute la violation d'une prescription légale ou le manquement au devoir général de prudence ou de diligence». PLRRC Urvoas, Art. (1242).

(58) PLRRC Urvoas, Art. (1250).

عن الضرر الناجم عن خطئه⁽⁵⁹⁾، معتبراً أن كل انتهاك لواجب قانوني أو التقصير أو الإهمال في واجب عام يقتضي اليقظة أو الحرص، يمثل خطأ⁽⁶⁰⁾.

ومن ثم تحدث عن المسؤولية عن عمل الأشياء⁽⁶¹⁾، ومن ثم مضار الجوار⁽⁶²⁾، ومن ثم المسؤولية عن فعل الغير بمختلف صنوفها، علماً أنه لم يتحدث عنها كنوع من أنواع المسؤولية بقدر اعتبارها أعمالاً أو تصرفات ترتب الضرر الموجب للتعويض، متناولاً إياها بطريقة تبرز الضرر وليس الخطأ، حينما تحدث عن الضرر الحاصل من الغير⁽⁶³⁾، والذي ناقش فيه مسؤولية الآباء عن أولادهم القصر، ومسؤولية الأوصياء⁽⁶⁴⁾، ومسؤولية الأشخاص تحت الرقابة بحكم القانون⁽⁶⁵⁾ أو الاتفاق⁽⁶⁶⁾.

(59) PLRRC Urvoas, Art. (1241).

(60) PLRRC Urvoas, Art. (1242).

(61) PLRRC Urvoas, Art. (1243).

علماً بأن مشروع القانون لم يتحدث عن المسؤولية عن عمل الحيوان والبناء، باعتبارها بشكل أو بآخر شكلاً من أشكال المسؤولية عن الأشياء، التي تدخل في إطار مسؤولية الشخص عن فعله. حول هذه الحيثية والتطور المصاحب لها، راجع،

J J-Ch. Saintpau, Le fait d'autrui source de responsabilité: Fait causal ou fait générateur? Responsabilité civile et assurances n° 1, 2004, chro, 1. J-Ch. Saintpau, La responsabilité du fait d'autrui est-elle une responsabilité personnelle et directe?: Resp. civ. et assur. 1998, chro, 22. P. Jourdain, La responsabilité du fait d'autrui à la recherche de ses fondements: Études Lapoyade Deschamps, PUB 2003, p. 67

(62) PLRRC Urvoas, Art. (1244).

(63) «On est responsable du dommage causé par autrui dans les cas et aux conditions posés par les articles 1246 à 1249. Cette responsabilité suppose la preuve d'un fait de nature à engager la responsabilité de l'auteur direct du dommage». PLRRC Urvoas, Art. (1245).

(64) «Sont responsables de plein droit du fait du mineur: - ses parents, en tant qu'ils exercent l'autorité parentale ; - son ou ses tuteurs, en tant qu'ils sont chargés de la personne du mineur; - la personne physique ou morale chargée par décision judiciaire ou administrative, d'organiser et contrôler à titre permanent le mode de vie du mineur. Dans cette hypothèse, la responsabilité des parents de ce mineur ne peut être engagée». PLRRC Urvoas, Art. (1246).

(65) «Est responsable de plein droit du fait du majeur placé sous sa surveillance la personne physique ou morale chargée, par décision judiciaire ou administrative, d'organiser et contrôler à titre permanent son mode de vie». PLRRC Urvoas, Art. (1247).

(66) «Les autres personnes qui, par contrat assument, à titre professionnel, une mission de surveillance d'autrui ou d'organisation et de contrôle de l'activité d'autrui, répondent du fait de la personne physique surveillée à moins qu'elles ne démontrent qu'elles n'ont pas commis de faute». PLRRC Urvoas, Art. (1248).

وأخيراً مسؤولية التابع عن أعمال المتبوع⁽⁶⁷⁾، وما ورد في نطاق المسؤولية غير التعاقدية، ينطبق على المسؤولية التعاقدية التي ناقش فيها مشروع القانون الأحكام الخاصة بالمسؤولية التعاقدية، من حيث مسؤولية المدين في حال عدم تنفيذ التزامه، ومتى تنهض مسؤوليته حيال ذلك⁽⁶⁸⁾.

فهذه الفرضيات، جميعها، ذكرت في معرض كونها حالات لتحقيق المسؤولية، وليس باعتبارها شروطاً لتحقيق المسؤولية، والفرق بين الأمرين بَيِّنٌ جلي، بالتالي إن المسؤولية الشخصية تتحقق في حال الخطأ وفي حال عدم تنفيذ الالتزام، أي حصول الخطأ في المسؤولية غير التعاقدية، أو ما اعتبر بحكمه في المسؤولية التعاقدية. لكن، ولما كانت هذه الفرضيات تناقش في معرض الوقائع المفضية للمسؤولية وليست شروطاً للمسؤولية، ولما كان المشرع لم يشر للخطأ كشرط من شروط هذا الفعل أو المسؤولية، وإنما يمكن استنتاج ذلك من تحليل المادة الخاصة بعلاقة السببية التي أشار فيها المشروع إلى الفعل المنسوب للشخص، الذي يمكن أن يكون خطأً، وبالتالي يحكم بنصوص المواد السابقة، ويمكن ألا يكون خطأً، وبالتالي يحكم بالفلسفة العميقة لنص هذا المشروع، في ضوء القول المضمّر لهذا المشروع، من حيث تحقق المسؤولية بالاستناد للضرر لا للخطأ.

تحليلٌ، يقودنا إلى استنتاج آخر مفاده أن مشروع القانون، ابتعد عن النظرية الشخصية للمسؤولية المدنية لصالح النظرية الموضوعية، وإن لم يقل ذلك صراحةً، فمجرد تجاهل فكرة الخطأ في الفعل المنسوب للشخص، أولاً، ومن ثم تجاهل الاعتبار القانوني له كركن من أركان هذه المسؤولية وتحويله من مفهوم الخطأ لمفهوم الفعل، نكون قد تجاوزنا نظرية الخطأ الشخصية لنظرية الخطأ الموضوعية، ونكون لم نذهب للجانب الآخر في المعادلة الحالية للمسؤولية المدنية: الخطأ والضرر والعلاقة السببية، أي إلى: الضرر والخطأ والعلاقة السببية بينهما، وإنما انتقلنا إلى معادلة جديدة: الضرر والعلاقة السببية للضرر بـ: «الفعل» كأصل، لا «الخطأ» الذي يبقى الاستثناء.

(67) «Le commettant est responsable de plein droit des dommages causés par son préposé. Est commettant celui qui a le pouvoir de donner au préposé des ordres ou des instructions en relation avec l'accomplissement de ses fonctions. En cas de transfert du lien de préposition, cette responsabilité pèse sur le bénéficiaire du transfert. Le commettant ou le bénéficiaire du transfert n'est pas responsable s'il prouve que le préposé a agi hors des fonctions auxquelles il était employé, sans autorisation et à des fins étrangères à ses attributions. Il ne l'est pas davantage s'il établit une collusion du préposé et de la victime. Le préposé n'engage sa responsabilité personnelle qu'en cas de faute intentionnelle, ou lorsque, sans autorisation, il a agi à des fins étrangères à ses attributions». PLRRC Urvoas, Art. (1249).

(68) PLRRC Urvoas, Art. (1250).

بالتالي ستصبح نقطة الانطلاق في المسؤولية المدنية هي: الضرر وليس الخطأ، والضامن للضرر الناجم عن هذه المسؤولية هو المسؤول عن الفعل، الذي قد يكون مسبب الضرر، كما قد يكون المنتفع من الفعل، وليس مسبب الفعل أو الضرر، وستنتقل هذه المسؤولية من مسؤولية الحارس إلى مسؤولية المنتفع، ولن تعود مرتبطة بتصرف الشخص، وإنما بنتيجة هذا التصرف، فلن تقوم بعد ذلك على طبيعة سلوك الفرد⁽⁶⁹⁾، وإنما على الضرر الناجم عن هذا السلوك، الذي يمثل جوهر المسؤولية الموضوعية ومركزها الرئيسي، مع ما يمثله ذلك من بروز واضح لمفهوم الضرر فيها.

ثانياً- تعاضم نظرية الضرر

كنتيجة طبيعية لتراجع نظرية الخطأ، تعزز بالمقابل دور نظرية الضرر في مشروع القانون، ضمن بعدين منفصلين: الأول تقليدي برز في تعاضم الحضور القانوني للضرر، كمفهوم، وكشرط من شروط نهوض المسؤولية. والثاني حديثي، تمثل في اعتباره عاملاً مؤثراً في تحديد طبيعة المسؤولية المدنية بغض النظر عن طبيعة الفعل المقترب، ما جعل منه عاملاً مؤثراً في وحدة النظام القانوني للمسؤولية المدنية.

1. في الجانب التقليدي، «الضرر مؤثر لنهوض المسؤولية»

ضمن هذا الجانب، يمكن القول إن الضرر احتل مكانة مهمة في مشروع القانون، إن من حيث تحديد طبيعة مفهوم هذا الضرر، أو باعتباره الركن الكافي لنهوض المسؤولية من عدمها.

1.1.1. الضرر كمفهوم

لعل الحاضر الأكبر في مختلف بنود ومواد مشروع القانون هو الضرر، الذي أفرد له مشروع القانون قسماً خاصاً ضمن الشروط العامة للمسؤولية تحت عنوان: «الضرر القابل للتعويض» مكوناً من أربع مواد قانونية تناولت تحديد الضرر عبر توضيح الاشتراطات القانونية، لاعتبار الأذى الحاصل بموجب الضرر القابل للتعويض، مبيئاً في هذا المجال طبيعة الضرر القابل للتعويض، وليس تعريف الضرر بذاته.

فالمشرع كما يتضح من نص القانون حدد مواصفات الضرر القابل للتعويض وليس الضرر بذاته، ولعل ذلك كان وراء التسمية المصطلحية لهذا القسم: «الضرر القابل للتعويض»، «Le préjudice réparable»، حيث أثار هذه العنوان نقاشاً فقهيّاً حول دلالات هذه التسمية، لاسيما قرن المشرع فكرة الضرر القابل للتعويض، ما يفهم منه أن هناك

(69) ما سيضع نظرية الشخص المعتاد كمؤشر معياري لنهوض المسؤولية المدنية محل تساؤل كبير، وذلك بحثاً آخر.

ضرراً غير قابل للتعويض⁽⁷⁰⁾.

ولذلك تم تعديل تسمية هذا العنوان بالضرر القابل للتعويض، بعد أن كان مشروع (Terré)، قد عنون هذا القسم بـ: «الضرر»⁽⁷¹⁾، الأمر الذي وجد فيه بعض الفقه الفرنسي⁽⁷²⁾ لبساً في تحديد المقصود بالضرر الموجب للتعويض، ليعود المشرع ويوضح ذلك بعبارة الضرر الموجب للتعويض، وكأنه يفهم من تحديده بمفهوم المخالفة، أنه ثمة ضرر لا يوجب التعويض، وهو حقيقة ما أراد المشرع أن يقوله دون أن ينطقه، بمعنى أن كل ضرر يقع للشخص لا يحقق الشروط الواردة في الحالة السابقة وفق النصوص القانونية المحددة، هو غير موجب للتعويض، وبالتالي هو ليس ضرراً بالمعنى القانوني، وإن كان كذلك بالمعنى الواقعي.

في جميع الأحوال، فقد حدد مشروع القانون مواصفات هذا الضرر وفق المستقر عليه بالقضاء، من حيث كونه ضرراً محققاً وحالاً⁽⁷³⁾، مؤكداً أنه يجب أن يكون الضرر محققاً ناجماً عن أذى لا اعتداءً على مصلحة مشروعة، مالية أو غير مالية⁽⁷⁴⁾، مقرأً بذلك قاعدة عامة مفادها أن كل ضرر محقق، بغض النظر عن جسامته أو حجمه، يوجب التعويض، وموسعاً بذلك من مظلة التعويض لتشمل مختلف أشكال الضرر، بالوقت ذاته الذي عمد المشرع الفرنسي إلى مناقشة بعض صنوف الضرر التي هي محل اعتبار في المجتمع⁽⁷⁵⁾.

(70) J. Traullé, Les dommages réparables, Responsabilité civile et assurances, 2016, dossier 4. J-S. Borghetti, Les intérêts protégés et l'étendue des préjudices réparables en droit de la responsabilité civile extra-contractuelle, Etudes G. Viney, LGDJ, Paris, 2008, p. 145.

(71) Pour une réforme du droit de la responsabilité civile, Dalloz, Paris, 2011. http://www.textes.justice.gouv.fr/art_pix/1_proposition_texte_responsabilite_civile_20111018.pdf.

(72) J. Traullé, Les dommages réparables, op, cit. J-S. Borghetti, Les intérêts protégés et l'étendue des préjudices réparables en droit de la responsabilité civile extra-contractuelle, op, cit, p. 145.

(73) La jurisprudence est fixée en cens depuis un arrêt de principe de la chambre des requêtes de la Cour de cassation du 1er juin 1932. Cass. req., 1er juin 1932: D. 1932, 1, p. 102.

(74) PLRRC Urvoas, Art. (1235).

(75) PLRRC Urvoas, Arts. (1267 à 1280). Réparation des préjudices résultant d'un dommage corporel. Arts. (1267 à 1277). Réparation des préjudices résultant d'un dommage matériel. Arts. (1278 à 1279). Réparation des préjudices résultant d'un dommage environnemental. Arts. (1279-1 à 1279-6). Réparation des préjudices résultant du retard dans le paiement d'une somme d'argent. Arts. (1280).

والحقيقة حسناً فعل واضعو المشروع بذلك، كون تحديد نوعية الضرر غير ممكنة، ولكن مواصفات الضرر هي التي يمكن تحديدها بوضوح، أو الأشكال التي يبرز فيها. ورغم ذلك فقد ذهب بعض الفقه إلى انتقاد موقف المشرع الفرنسي، معتبراً أن وضع قائمة ولو كانت تمثيلية لحالات الضرر الموجب التعويض أو حتى سمات معينة لهذا الضرر ستكون بعد حين من الزمن، ومع تنامي المجتمع وتطوره بعيدة عن الواقع⁽⁷⁶⁾، رغم أننا نرى أن تحديد المشرع لخصائص عامة تحدد مفهوم الضرر يُعدُّ في الوقت الراهن أمراً مفيداً في تحديد الطبيعة القانونية لهذا الضرر.

كذلك أكد مشروع القانون، أن الأصل في التعويض الضرر الحال، في حين أن الضرر المستقبلي غير قابل للتعويض ما لم يكن هو المعبر عن التطور المؤكد والمباشر للحالة القائمة⁽⁷⁷⁾، في حين أن النفقات التي يتكبدها المدعي لمنع وقوع أي ضرر وشيك الوقوع، أو لمنع تفاقمه، أو لتقليل عواقبه، يمثل أذى يمكن تعويضه، طالما أنه تكبدها على نحو عقلاني «معقول»⁽⁷⁸⁾.

كذلك فإن الفوات المؤكد والفعلي لاحتمالية إيجابية، يُعدُّ فرصة ضائعة قابلة للتعويض، علماً بأن الأذى يجب أن يقيم وفق الفرصة الضائعة، وليس المزايا التي كان يتم السعي لها في حال تحقق الفرصة⁽⁷⁹⁾.

(76) J. Traullé, Les dommages réparables, op, cit. J-S. Borghetti, Les intérêts protégés et l'étendue des préjudices réparables en droit de la responsabilité civile extra-contractuelle, op, cit, p. 145.

(77) «Le préjudice futur est réparable lorsqu'il est la prolongation certaine et directe d'un état de choses actuel». PLRRC Urvoas, Art. (1236).

(78) «Les dépenses exposées par le demandeur pour prévenir la réalisation imminente d'un dommage ou pour éviter son aggravation, ainsi que pour en réduire les conséquences, constituent un préjudice réparable dès lors qu'elles ont été raisonnablement engagées». PLRRC Urvoas, Art. (1237).

(79) «Seule constitue une perte de chance réparable, la disparition actuelle et certaine d'une éventualité favorable. Ce préjudice doit être mesuré à la chance perdue et ne peut être égal à l'avantage qu'aurait procuré cette chance si elle s'était réalisée». PLRRC Urvoas, Art. (1238).

هنا تجدر الإشارة، إلى أن التوجه التشريعي لمشروع القانون سجل في هذه الفرضية، تلطيفاً كبيراً للاجتهاد القضائي، الذي توسع في مفهوم الضرر الموجب الإصلاح ليشمل في بعض الحالات الضرر الناجم عن ضياع الفرصة، ذات الطبيعة غير المؤكدة، ناهيك عن التعويض عن الضرر المترتب بالتتابع. موقف كثيراً ما انتقد من قبل الفقه الفرنسي. راجع في ذلك،

P. Jourdain, Comment traiter le dommage potentiel? Responsabilité civile et assurances n° 3, 2010, dossier 11.

1.2. الضرر كشرط للمسؤولية

إن تبيان موقع الضرر ضمن الشروط العامة للمسؤولية الواردة في مشروع القانون، التي لم تورد سوى شرطين هما: الضرر والعلاقة السببية، يبيّن بوضوح المكانة الجديدة التي أخذها الضرر ضمن نصوص هذا المشروع، باعتباره الشرط الرئيسي للنهوض بهذه المسؤولية والشرط الكافي لهذه المسؤولية.

ففي الإطار الأول، باعتباره «الشرط الرئيس» وكما بيّننا سابقاً، نلاحظ أن المشرع ذكر فقط شرطين اثنين لنهوض المسؤولية هما: الضرر والعلاقة السببية، مبتدأً بنظرية الضرر، مؤكداً بأن كل ضرر محقق نتج عن أذى وقع لإعتداء على مصلحة مشروعة أو الحقوق المالية أو المعنوية يوجب التعويض، ومنتهياً بنظرية السبب، مشدداً على أن المسؤولية تعني وجود علاقة سببية بين الفعل المنسوب لمرتكبه والضرر⁽⁸⁰⁾، الأمر الذي فسر من قبل العديد من رجال الفقه بتكريس نظرية الضرر كأساس للمسؤولية المدنية بعيداً عن الخطأ⁽⁸¹⁾، الأمر الذي نتفق معه، فالمنطقي أن يبدأ المشرع بطرح الخطأ كمصدر للمسؤولية وينتهي بالضرر كنتيجة لهذه المسؤولية، مع إثبات وجود العلاقة السببية بينهما، لكن طرح المشرع للضرر كأول شرط من شروط قيام المسؤولية، يثبت أن المشرع يؤكد على أهمية الضرر كعنصر لتحقيق المسؤولية بعيداً عن نوعية الفعل المنسوب لمسبب الضرر، معتبراً أن كل ضرر يوجب التعويض، وبالتالي فإن معيار نهوض المسؤولية ليس الفعل الخاطئ بذاته أو حتى الخطأ، وإنما تحقق الضرر.

في الإطار الثاني، باعتباره «الشرط الكافي»، فإن تحقق الضرر، حتى ولو لم يكن هناك خطأ مثبت أو خطأ أو فعل خاطئ، كل ذلك يوجب التعويض، وهو ما نوه إليه مشروع القانون بالقول: «كل ضرر محقق نتج عن أذى وقع لإعتداء على مصلحة مشروعة أو الحقوق المالية أو المعنوية يوجب التعويض»⁽⁸²⁾. فهنا لم يربطه المشروع بالخطأ، ما يجعل الضرر شرطاً كافياً بذاته لتحقيق المسؤولية، حتى دون تحقق الخطأ، ما ينقل المسؤولية عن بعدها الشخصي إلى بعدها الموضوعي، ويدخلها في نظرية تحمل المخاطر، ناقلاً التعويض عن الضرر من الحارس إلى المنتفع⁽⁸³⁾.

(80) "La responsabilité suppose l'existence d'un lien de causalité entre le fait imputé au défendeur et le dommage. Le lien de causalité s'établit par tout moyen". PLRRC Urvoas, Art. (1239).

(81) Ph. Stoffel-Munck, C. Bloch et M. Bacache, Responsabilité civile, op, cit.

(82) PLRRC Urvoas, Art. (1235).

(83) C. Thibierge, Libres propos sur l'évolution de la responsabilité civile, Vers un élargissement des fonctions de la responsabilité civile?: RTD civ. 1999, p. 561; Avenir

وهنا تكمن أهمية وعلو نظرية الضرر على نظرية الخطأ ضمن مشروع القانون، باعتبار أن الفعل الخاطيء، حتى وإن وقع، طالما أنه لم يلحق الضرر فهو لا يوجب التعويض، بينما الضرر، فإنه يوجب التعويض حال وقوعه، وإن لم يكن ثمة خطأ بالمطلق. والحقيقة إن هذا الموقف ينسجم مع فكرة وفلسفة المسؤولية القائمة على جبر الضرر، وليس معاقبة الشخص المخطيء، وفلسفة العقاب من حق القانون، أما التعويض فمن حق المتضرر، ولا يمكن له المطالبة به، حتى مع وقوع الخطأ⁽⁸⁴⁾، ما لم يلحق به ضرر. كل ذلك، يثبت أن نظرية المسؤولية في القانون المدني الفرنسي، في حال تبني مشروع القانون، سيكون محورها وجوهرها هو الضرر وليس الخطأ.

2. في الجانب الحداثي «الضرر مؤشر لنوع المسؤولية»

إن كانت الأدبيات الفقهية والتشريعية الفرنسية، قد درجت على اعتبار نوع الالتزام هو المؤشر التقليدي لنوع المسؤولية المترتبة جراءه⁽⁸⁵⁾، فإن مشروع القانون، حال تبنيه، سيسجل انعطافاً جديداً لموقف المشرع الفرنسي من هذه الفرضية، الذي يكرس توجهاً معيارياً جديداً، قائماً على الضرر، وليس على الفعل المقترف، كمحدد لنوع المسؤولية، معدلاً بذلك من نظرية المسؤولية التي كانت تتحدد بمصدر الالتزام، لتحدد اليوم بأثر الالتزام، وذلك وفق معطين: الأول مباشر، وهو الضرر الجسدي، الذي يجب أن يعوض وفق أحكام المسؤولية غير التعاقدية، وإن كانت مصدر الالتزام عقدي، والثاني غير مباشر، يرتبط بالضرر الحاصل للغير، الذي يمكن أن يحكم وفق أحكام المسؤولية التعاقدية، وإن كان مصدر الالتزام غير عقدي.

1.2. الضرر الجسدي، كمؤشر معياري للمسؤولية غير التعاقدية

بعد أن أكد مشروع القانون النطاق الموضوعي لتطبيق كل من المسؤوليتين التعاقدية وغير التعاقدية⁽⁸⁶⁾، أكد أن الضرر الجسدي يُعوّض دوماً وفق قواعد المسؤولية غير التعاقدية،

de la responsabilité civile, responsabilité de l'avenir : D. 2004, p. 577. J-Ch. Saintpau, Le fait d'autrui source de responsabilité: Fait causal ou fait générateur? op, cit. P. Jourdain, La responsabilité du fait d'autrui à la recherche de ses fondements, op, cit, p. 67.

(84) F. Chabas, Cent ans de responsabilité civile, op, cit, p. 2. Henriot, Note sur la date et le sens du mot responsabilité, op, cit, p. 59. M. Villey, Esquisse historique sur le mot responsable, op, cit, p. 44s. Ph. Brun, Responsabilité civile extracontractuelle, op, cit, n° 1s.

(85) C. Ophele, Faute délictuelle et faute contractuelle, op, cit. L. Bloch, Relative relativité de la faute contractuelle ou absolue généralité de la faute délictuelle? Responsabilité civile et assurances, 2006, n° 11, étude 17.

(86) "En cas d'inexécution d'une obligation contractuelle, ni le débiteur ni le créancier ne peuvent se soustraire à l'application des dispositions propres à la responsabilité

حتى وإن كان في أساسه مبني على مسؤولية تعاقدية ناجمة عن عدم تنفيذ العقد، بمعنى أن أي ضرر جسدي لحق بالشخص، سواء بموجب عقد أو لا، يتم تعويضه وفق قواعد هذه المسؤولية، كل ذلك ما لم يكن التعويض المقرر بموجب المسؤولية التعاقدية أكثر فائدة للمتضرر⁽⁸⁷⁾، بما يتضح معه الموقف الحمائي للمشرع الفرنسي من قضية الضرر الجسدي، جاعلاً الأصل في القواعد القانونية المطبقة على هذه المسؤولية هي قواعد المسؤولية غير التعاقدية التي تضمن إصلاح كامل قيمة الضرر، بعيداً عن محددات التعويض في المسؤولية التعاقدية والشروط المعفية والمحددة لهذه المسؤولية⁽⁸⁸⁾، بما فيها مسألتا الالتزام بعناية أو بغاية⁽⁸⁹⁾. كل ذلك، ما لم يكن التعويض الاتفاقي أكثر فائدة للمتضرر، مع تمسك هذا الأخير به⁽⁹⁰⁾.

contractuelle pour opter en faveur des règles spécifiques à la responsabilité extracontractuelle”. PLRRC Urvoas, Art. (1233).

(87) «Les préjudices résultant d'un dommage corporel sont réparés sur le fondement des règles de la responsabilité extracontractuelle, alors même qu'ils seraient causés à l'occasion de l'exécution du contrat. Toutefois, la victime peut invoquer les stipulations expresses du contrat qui lui sont plus favorables que l'application des règles de la responsabilité extracontractuelle». PLRRC Urvoas, Art. (1233-1). Pour plus d'informations voir, J. Knetsch, Le traitement préférentiel du dommage corporel, JCP 2016, suppl. au n° 30-35, p. 9.

(88) () PLRRC Urvoas, Arts. (1253 à 1257-1). Les causes d'exonération de responsabilité. Arts. (1253 à 1256). Les causes d'exclusion de responsabilité. Arts. (1257 à 1257-1)

(89) Voir, P. Jourdain, Quel avenir pour la distinction des obligations de résultat et de moyens JCP G, n° 36, 2016, p. 909. J. Bellissent, Contribution à l'analyse de la distinction des obligations de moyens et des obligations de résultat : LGDJ, 2001, n° 577s. F. Leduc, D'un piège à l'autre (à propos de l'indemnisation de la victime conductrice fautive). Responsabilité civile et assurances n° 12, 2006, étude 19.

(90) M. Bacache, A. Guégan-Lécuyer et S. Porchy-Simon, Dommage corporel. Recueil Dalloz 2016 p. 2187.

وهنا نود التنويه إلى أن بعض الفقه ربط هذا التحول في معالجة الضرر الجسدي بموقف المشرع الفرنسي من الأضرار الجسدية الناجمة عن حوادث السير، لاسيما قانون بادينتر الصادر في 5 يوليو 1985، «Loi Badinter du 5 juillet 1985» المتعلق بتنظيم حوادث السير والتعديلات اللاحقة له، الأمر الذي لا نتفق معه، لاسيما أن المشرع أورد المادة المتعلقة بالضرر الجسدي في الأحكام العامة لمشروع القانون، وتناول فيها هذا الضرر، بمختلف حالاته وعلى العموم، ما جعل القاعدة ذات تطبيق عام. ناهيك عن أن المشرع أدخل القواعد القانونية الخاصة بهذا القانون المتعلق بالحوادث المرورية، بما فيها الأضرار الجسدية، في قسم القانون الخاص بالأنظمة الخاصة للمسؤولية.

L. Morlet-Haidara, Le projet de réforme du régime d'indemnisation des accidents de la circulation, Resp. civ. et assur. 2017, étude 9, Pp. 7-10. S. Abravanel-Jolly, Un droit à indemnisation pour le conducteur victime ? (À la suite du projet de réforme de la responsabilité civile du 13 mars 2017). In L'incidence des réformes actuelles

ومما لا شك فيه، أن هذا التوجه التشريعي الجديد حال تبنيه، سيسجل تطوراً ملحوظاً في نظرة المشرع المدني الفرنسي للتعويض عن الضرر كعنصر من عناصر المسؤولية المدنية، جاعلاً منه معياراً من معايير تحديد المسؤولية، وليس التعويض، وهنا الجانب الإبداعي في موقف مشروع القانون، فكل ضرر جسدي محكوم بقواعد المسؤولية غير التعاقدية، بمختلف جوانبه بما فيها التعويض. وبموجب ذلك، أصبح الضرر، لا الفعل المقترف، هو المعيار الحاسم في تحديد طبيعة هذه المسؤولية، فالضرر الجسدي هو المعيار الرئيسي في نهوض المسؤولية غير التعاقدية ضمن هذه الفرضية.

كما أن هذا الموقف يستحق الوقوف؛ كونه جعل نظرية المسؤولية بشكل عام تركز في التوصيف القانوني الخاص لمعطين مختلفين: الأول تقليدي قائم على طبيعة الخطأ المحدد لنوع المسؤولية، والثاني حداثي غير تقليدي قائم على أساس نظرية الضرر المحددة لنوع المسؤولية. وبالتالي أضحى وفق مشروع القانون، تحديد التوصيف القانوني لنوع المسؤولية القانونية، يتم وفق ركيزتين رئيسيتين هما: النظرية التقليدية: «نظرية الخطأ»، والأخرى حداثية: «نظرية الضرر». وإن كانت الأولى تركز إلى الفعل المجرم من مرتكب الخطأ، فإن الثانية تركز إلى الضرر المترتب على الضحية، فالأولى أساسها إخلال المدين بالتزامه، والثانية أساسها الضرر الواقع على الدائن، بعيداً عن خطأ المدين من عدمه.

كذلك، فإن ما يسترعي الانتباه في مشروع القانون، أنه وإن كان قد قضى، ضمن هذه الفرضية، باعتبار الأصل تطبيق قواعد المسؤولية غير التعاقدية، إلا أنه سمح للضحية بالاحتجاج بالشروط التعاقدية الواردة في العقد الأكثر فائدة لها، وكأن الضحية لديها الخيار في سلوك أي من الطريقتين: غير التعاقدية، وهي الأصل، والتعاقدية وهي الاستثناء، علماً بأن الأولى تتم بقوة القانون، أما الثانية فبإرادة المتضرر، بمعنى أنه لا يمكن للقاضي أن يلجأ إلى تطبيق هذه القواعد وفقاً لسلطته التقديرية، وإنما يجب أن يطالب بها المتضرر.

ورغم ذلك فإن هذا التداخل بين المسؤوليتين، يقودنا لنظام المسؤولية الثنائي، من حيث تطبيق قواعد المسؤولية غير التعاقدية على الضرر بالاستناد لنوعه، وتطبيق الاشتراطات التعاقدية بالاستناد لطلب المتضرر، بحيث إننا سنعوض الضرر المادي المترتب عن هذه المسؤولية ضمن قواعد المسؤولية التعاقدية، والضرر الجسدي ضمن قواعد المسؤولية غير التعاقدية، رغم أننا أمام ذات الخطأ المسبب للضرر، وذات المتضرر، مع اختلاف

et à venir du droit des obligations sur le droit des assurances. Bulletin Juridique des Assurances, Dossier n° 2, 2017, p. 33.

PLRRC Urvoas, Arts. (1253 à 1257-1). Les causes d'exonération de responsabilité. Arts. (1253 à 1256). Les causes d'exclusion de responsabilité. Arts. (1257 à 1257-1).

نوع الضرر⁽⁹¹⁾.

موقفٌ نعتقد أنه يحتاج إلى المزيد من التروي والتعمق من واضعي المشروع، فمن المؤكد أنهم إنما أرادوا من هذا الأمر ضمان الوصول إلى المظلة الحمائية الأكثر فاعلية بالنسبة للمتضرر، ولكن هذه الثنائية في التطبيق تجعل من تطبيق قواعد المسؤولية فيها شيء من الانتقائية من حيث إن المتضرر، في الضرر الجسدي، يمكن له أن يختار من كليهما ما يناسبه بين هذين النوعين، بالوقت ذاته الذي ينطبق على هذه المسؤولية، وبحكم القانون، وبحسب نوعية الضرر، نوعين مختلفين من المسؤولية.

وكنا نأمل لو أن واضعي المشروع أبقوا الجانب الحمائي في هذه الفرضية مقتصرًا على جانب معين من أنواع هذه المسؤولية، يطبق على مختلف أنواع الضرر، بحيث يكون للمتضرر الخيار في الطريق الذي سيسلكه بين أي من هذين النوعين من المسؤولية، لكن دون الدمج بينهما.

2.2. الضرر الحاصل للغير، كمؤشر معياري للمسؤولية التعاقدية

قضى مشروع القانون أن الغير المتضرر من عدم تنفيذ العقد، لا يمكنه أن يطالب بالتعويض إلا استناداً إلى قواعد المسؤولية غير التعاقدية، شريطة أن يثبت واحدة من الوقائع المفصلة للمسؤولية⁽⁹²⁾. موقفٌ منطقي وعقلاني، ذلك أن الغير بغض النظر عن

(91) PLRRC Urvoas, Art. (1233-1). G. Viney, L'espoir d'une recodification du droit de la responsabilité civile, op, cit, p. 1378. Ph. Brun. Les concours de responsabilités : entre dialogue et conflits. Rapport de synthèse. Responsabilité civile et assurances, n° 2, Février 2012, dossier 14.

(92) «Lorsque l'inexécution du contrat cause un dommage à un tiers, celui-ci ne peut demander réparation de ses conséquences au débiteur que sur le fondement de la responsabilité extracontractuelle, à charge pour lui de rapporter la preuve de l'un des faits générateurs visés à la section II du chapitre II.

Toutefois, le tiers ayant un intérêt légitime à la bonne exécution d'un contrat peut également invoquer, sur le fondement de la responsabilité contractuelle, un manquement contractuel dès lors que celui-ci lui a causé un dommage. Les conditions et limites de la responsabilité qui s'appliquent dans les relations entre les contractants lui sont opposables. Toute clause qui limite la responsabilité contractuelle d'un contractant à l'égard des tiers est réputée non écrite». PLRRC Urvoas, Art. (1234). D. Mazeaud, Relativité de la faute contractuelle, le retour Recueil Dalloz, Paris, 2017 p.1036. G. Viney, La responsabilité du débiteur à l'égard du tiers auquel il a causé un dommage en manquant à son obligation contractuelle, D. 2006, p, 2825. C. Popineau-Dehaillon, Regards comparatistes sur la responsabilité du contractant à l'égard d'un tiers, victime de l'inexécution du contrat, Revue des contrats, 2007, Pp. 622-631.

طبيعة علاقته التعاقدية أو غير التعاقدية مع أي من أطراف العقد موضوع التنفيذ، هو غريب عن العقد المبرم بين الطرفين الذي ألحق عدم تنفيذه ضرراً به.

عليه، وفي حال وقوع ضرر بالنسبة له، فإن له اللجوء إلى المطالبة بالتعويض وفق قواعد المسؤولية غير التعاقدية لا التعاقدية، حتى وإن كان أصل الضرر الذي لحق به ناجماً عن إخلال تعاقدية. رغم ذلك فقد أقر مشروع القانون قاعدة قانونية أصلها اجتهادي⁽⁹³⁾، مفادها: أن الغير الذي لحقه ضرر من جرّاء التنفيذ المعيب لهذا العقد، ولديه مصلحة مشروعة في التنفيذ الصحيح للعقد من قبل الطرفين، يمكنه أن يحتج على أساس المسؤولية التعاقدية بوجود تقصير عقدي لأحد المتعاقدين تجاه الآخر في حسن تنفيذ العقد.

وفي هذه الحالة الشروط والمحددات المتفق عليها بين المتعاقدين هي التي تنطبق في هذه الفرضية⁽⁹⁴⁾، معتبراً أن كل شرط يحد من مسؤولية أحد المتعاقدين تجاه الغير يعتبر غير مكتوب⁽⁹⁵⁾. وبالتالي للغير أن يستعمل دعوى الدائن في مطالبة المدين بتنفيذ عقده

(93) «Le tiers à un contrat peut invoquer, sur le fondement de la responsabilité délictuelle, un manquement contractuel dès lors que ce manquement lui a causé un dommage» (Cass. ass. plén., 6 oct. 2006, n° 05-13.255: JurisData n° 2006-035298).

(94) «Lorsque l'inexécution du contrat cause un dommage à un tiers, celui-ci ne peut demander réparation de ses conséquences au débiteur que sur le fondement de la responsabilité extracontractuelle, à charge pour lui de rapporter la preuve de l'un des faits générateurs visés à la section II du chapitre II. Toutefois, le tiers ayant un intérêt légitime à la bonne exécution d'un contrat peut également invoquer, sur le fondement de la responsabilité contractuelle, un manquement contractuel dès lors que celui-ci lui a causé un dommage. Les conditions et limites de la responsabilité qui s'appliquent dans les relations entre les contractants lui sont opposables. Toute clause qui limite la responsabilité contractuelle d'un contractant à l'égard des tiers est réputée non écrite». PLRRC Urvoas, Art. (1234).

(95) «Lorsque l'inexécution du contrat cause un dommage à un tiers, celui-ci ne peut demander réparation de ses conséquences au débiteur que sur le fondement de la responsabilité extracontractuelle, à charge pour lui de rapporter la preuve de l'un des faits générateurs visés à la section II du chapitre II. Toutefois, le tiers ayant un intérêt légitime à la bonne exécution d'un contrat peut également invoquer, sur le fondement de la responsabilité contractuelle, un manquement contractuel dès lors que celui-ci lui a causé un dommage. Les conditions et limites de la responsabilité qui s'appliquent dans les relations entre les contractants lui sont opposables. Toute clause qui limite la responsabilité contractuelle d'un contractant à l'égard des tiers est réputée non écrite». PLRRC Urvoas, Art. (1234).

بالصورة الأمثل، طالما أن هذا التنفيذ المعيب قد ألحق الضرر به، على أنه لا يمكن استخدام حق الدائن المقصر إلا في حال تقاعس هذا الأخير عن المطالبة، مع ثبات الضرر الذي لحق به جراء عدم التنفيذ هذا.

وهنا يحل الغير محل الدائن، في مواجهة المدين بالمركز القانوني ذاته الذي للدائن تجاه المدين، بمعنى أن الغير في ضوء هذا النزاع سيعامل معاملة الدائن المتعاقد، وعليه يمكن للمدين المقصر أن يواجه الغير بجميع الدفوع التي كانت له في مواجهة الدائن، وكأن مشروع القانون جمع ضمن هذه الفرضية، بين نظرية النيابة القانونية في المطالبة القانونية، مع خصوصية التكليف القانوني لا الاتفاقي، ونظرية الحلول لجهة الدفوع والمسؤولية.

وعليه يمكن القول إن أساس المسؤولية التي يطالب بها الغير في هذه الفرضية هي المسؤولية التعاقدية وليست غير التعاقدية، كونه يحل محل الدائن، ويطالب بتنفيذ أو استكمال تنفيذ تعاقدية، علماً بأن هذا الحق محفوظ ومصان للغير، بحيث إن أي اتفاق بين المدين والدائن، حول استبعاد حق الغير بالمطالبة بهذا الحق، وبالتالي استعمال حق الدائن في مواجهة المدين في حال كان التقصير سيلحق الضرر به، يُعدُّ باطلاً، الأمر الذي نثني عليه كونه إنما يمثل حالة من حالات تعدي المتعاقدين على حقوق الغير والإضرار بها، أو الاتفاق بين الطرفين على حرمان الطرف الثالث، من ممارسة حقه في حماية حقوقه القانونية المكفولة بالقانون.

ومن الملاحظ أن مشروع القانون، هنا وبخلاف الحالة السابقة، إنما يقيم المسؤولية بالاستناد لشخص المتضرر لا لنوع الضرر، فالضرر الواقع على الغير بغض النظر عن نوعه محكوم بقواعد المسؤولية غير التعاقدية. ناهيك عن أن تكييف الخطأ، هو خطأ غير عقدي بالنسبة للغير، رغم أنه قد يكون في إطار العلاقة بين أطراف العقد خطأ عقدياً، ما يهدد المدين مرتكب الخطأ، أن يخضع بالمطالبة للمسؤولية ذاتها الناجمة عن عدم التنفيذ لنوعين من المسؤولية: الأولى تعاقدية بين طرفيه، والثانية غير تعاقدية مع الغير.

لكن السؤال هنا، ما هو واقع المسؤولية التي يمكن أن يعود فيها الغير على أي من طرفي العقد في حال التنفيذ المعيب للعقد المفضي إلى الإضرار به، والذي لم يستطع أن يتلافاه رغم تمسكه بالمطالبة بالتنفيذ الصحيح للعقد، إما لكون التنفيذ الصحيح قد ألحق الضرر به، أو لكونه لم يوفق في إجبار المدين في التنفيذ الصحيح للعقد.

في الحقيقة ضمن هذه الفرضية لم يوضح مشروع القانون الإجابة، رغم أن القواعد

العامّة تقضي في هذه الحالة بتطبيق قواعد المسؤولية غير التعاقدية، وهو ما عليه واقع الاجتهاد القضائي الفرنسي. وكنا نأمل لو أن المشرع الفرنسي تنبه لهذه الفرضية، وأضافها في متن مشروع القانون، بحيث يحق للغير المتضرر من عدم تنفيذ أو سوء تنفيذ العقد، المطالبة بالتعويض استناداً لقواعد المسؤولية غير التعاقدية⁽⁹⁶⁾.

(96) “Pour plus d’informations voir, M. Leveneur-Azémar, Une solution convaincante pour l’engagement de la responsabilité des contractants par les tiers. À propos de l’article 1234 du projet de réforme de la responsabilité civile. JCP G, n° 46, 2017, p. 1182. S. Borghetti, La responsabilité des contractants à l’égard des tiers dans le projet de réforme de la responsabilité civile, D. 2017, p. 1846. O. Deshayes, La nouvelle mouture de l’avant-projet de loi de réforme de la responsabilité civile: retour sur la responsabilité à l’égard des tiers, RDC 2017, p. 238. M. Bacache-Gibeili, Relativité de la faute contractuelle et responsabilité des parties à l’égard des tiers, D. 2016, p. 1454. J.-S. Borghetti, La responsabilité des contractants à l’égard des tiers dans le projet de réforme de la responsabilité civile, D. 2017, p. 1846.

الخاتمة

تناول موضوع البحث، واحدةً من أكثر القضايا المدنية حضوراً في الفقه الفرنسي في الوقت الراهن، المتمثل بالحراك التشريعي لإصلاح قانون المسؤولية المدنية، بعد قرابة عقدين من الزمن على وضعها، مع كل التحولات التي طرأت عليها خلال هذه الفترة، عبر دراسة وتحليل مشروع القانون: *Projet de Réforme du droit de la responsabilité civile* [PLRRC Urvoas] «Urvoas» الذي سيشكل، حال تبينه، الأرضية التشريعية الجديدة لنظرية المسؤولية المدنية في التشريع المدني الفرنسي، محاولاً التعمق في البعد الفلسفي المضمّر لهذا المشروع، مبرزاً توجهه الاستشراقي المؤسس لخطوة تشريعية جديدة تهدف لتوحيد قواعد المسؤولية المدنية، عبر التحليل المعمق لواقع وحقيقة البعد الفلسفي لهجر فكرة المسؤولية التقصيرية لصالح المسؤولية غير التعاقدية، والنتائج القانونية والفلسفية التي ستترتب جراء ذلك.

ومن ثم استجلاء حقيقة التراجع الملحوظ لمكانة نظرية الخطأ كواحدة من المرتكزات الراسخة ضمن نظرية المسؤولية المدنية، في الفكر الفلسفي الفرنسي، لما يزيد عن مائتي عام. أمران بيّنا وبوضوح الخطوط العامة لهذا التوجه الاستشراقي لتوحيد قواعد المسؤولية ضمن غطاء مصطلحي «تعاقدية» أولاً؛ و«موضوعية» ثانياً. لتبرز مع هذه الدراسة الملامح الجديدة للمسؤولية المدنية في التشريع الفرنسي بسمتين رئيسيتين: مسؤولية مدنية غطاؤها تعاقدية، وتأصيلها موضوعية.

أولاً- مسؤولية محكمة بـ: «الغطاء المصطلحي التعاقدية» شكلاً

مع غياب مصطلح: «التقصيرية»، ببعديه «الجرمي» و«شبه الجرمي»، وترسيخ مشروع القانون لمصطلح: «غير التعاقدية» الذي يمثل الاشتقاق المصطلحي لكلمة «التعاقدية»، يغدو جذر هذه المسؤولية قد تخلص بشكل نهائي من حالة المزج بين البعدين الجنائي والمدني، وإن في الإطار المصطلحي، ليصبح ذا مظلة مدنية، إما آت من التزام عقدي أو غير عقدي، ما يجعل من فكرة الغطاء العقدي الإطار الشكلي لهذه النظرية، وكأن هناك توجهاً لتوحيد هذه المسؤولية تحت هذا الغطاء، لجهة الشكل الخارجي، وليس المضمون أو العمق.

هذا الأمر هو الأساس في اعتبار هذه السمة ذات طبيعة موحدة للمسؤولية. وسيوحد فكرة المسؤولية في الخطاب الشكلي الخارجي كونها مسؤولية بغطاء تعاقدية، دون أن يلغي فكرة الاختلاف في مصدر الالتزام، بمعنى أن أصل الالتزام قد يختلف، لكن المسؤولية عنه تبقى واحدة في الإطار المدني الناشئ عن عقد أو غير عقد.

ثانياً - مسؤولية محكومة بـ: «البعد الموضوعي» تأصيلاً

بترجع تكريس الخطأ، كمفهوم، وكركن، أصبحت هذه النظرية، ببعديها التعاقدية وغير التعاقدية تقوم على ركن واحد رئيس هو: الضرر، لتدور حوله وجوداً وهدماً، لا حول الخطأ. فإن كان للخطأ سابقاً، دور مصطنع في التمييز بين نوعي هذه المسؤولية، بين الخطأ العقدي وغير العقدي، فإن غياب هذا الركن، إنما يشكل عاملاً فعلياً لتوحيد هذه النظرية في إطارها الموضوعي القائم على جبر الضرر، الذي لا يمكن أن يكون مختلفاً بكونه ضرراً عقدياً أو غير عقدي.

فالضرر يبقى ضرراً يوجب تعويضه في جميع الأحوال، ما يجعل وجه المخاطبة التأصيلي لهذه المسؤولية على المستوى الموضوعي واحداً وهو الضرر، وما يجعل من الأخير عنصراً فاعلاً في توحيد قواعد هذه المسؤولية في إطارها التأصيلي، مبرزاً بذلك، وجهاً جديداً من المسؤولية المدنية القائمة على الضرر، التي لا مكان في توصيفها القانوني للخطأ.

بذلك، سيغدو الوجه الاستشراقي الجديد للمسؤولية المدنية في القانون المدني الفرنسي، في حال تم تبني مشروع القانون، مسؤولية مدنية واحدة، غطاؤها الشكلي تعاقدية، ومضمونها التأصيلي موضوعي. خطوة استشرافية، لا بد أن تتبعها خطوات عديدة، تساعد على ترسيخ هذا الواقع الاستشراقي لواقع قانوني مثبت.

أمل، الأمل فيه كبير على كل من المشرع، والفقهاء والاجتهاد في تثبيت قواعده وأسسها في مستقبل الأيام... سؤال إجابته، لا محالة قادمة في قادم الأيام.

Bibliographie⁽⁹⁷⁾

I. Articles

- Concernant la réforme de la responsabilité civile
- G. Castermans et D. Dankers-Hagenaars et A. Dejean de la Batie (dir.), Regards comparatistes sur la réforme de la responsabilité civile, Revue internationale de droit comparé, n° 1, 2017.
- G. Viney, Après la réforme du contrat, la nécessaire réforme du code civil relative à la responsabilité, JCP, Dalloz, Paris, 2016. 99.
- G. Viney, L'espoir d'une recodification du droit de la responsabilité civile, D. 2016.
- J.-S. Borghetti, La responsabilité des contractants à l'égard des tiers dans le projet de réforme de la responsabilité civile, D. 2017.
- J.-S. Borghetti, L'avant-projet de réforme de la responsabilité civile, D, 2016, n° 38-39.
- J.-S. Borghetti, Un pas de plus vers la réforme de la responsabilité civile : présentation du projet de réforme rendu public le 13 mars 2017, D. 2017.
- L. Leveneur, Et maintenant, vers une réforme de la responsabilité civile. Repère Contrats Concurrence Consommation n° 7, Juillet 2016, repère 7.
- M. Fabre Magnan, Un projet à refaire, Revue des contrats, 2016.
- M. Mekki,
 - Le projet de réforme du droit de la responsabilité civile: maintenir, renforcer et enrichir les fonctions de la responsabilité civile, Gazette du Palais, n° 22, 14 juin 2016.
 - Le projet de réforme du droit de la responsabilité civile du 13 mars 2017: Des retouches sans refonte. Gazette du Palais, 2017, n° 17.

(97) نظرًا لتعدد المراجع القانونية والفقهية في البحث، فقد تم الاكتفاء بذكر أهمها، علمًا بأن كافة المراجع مسددة في متن البحث. كما تم الاعتماد على تدوين المراجع بحسب موضوعات البحث.

- N. Dissaux, Quelles réformes pour la responsabilité civile ? AJ contrat 2017.
- Ph. Brun, Premiers regards sur l'avant-projet de réforme de la responsabilité civile, RTD civ, 2016.
- Responsabilité civile: une réforme «probablement historique». JCP G, n° 12, 2017.
- S. Borghetti, L'avant-projet de réforme de la responsabilité civile, D. 2016.
- S. Carval, Le projet de réforme de la responsabilité civile, JCP. G, 2017.
- Vue d'ensemble de l'avant-projet de réforme de la responsabilité civile, D. 2016, n° 32s.

▪ **Concernant la faute**

- C. Ophele, Faute délictuelle et faute contractuelle, Responsabilité civile et assurances, n° 6, 2003.
- Ch. Radé, L'impossible divorce de la faute et de la responsabilité civile, D. 1998, chron, n° 16.
- D. Mazeaud, Relativité de la faute contractuelle, le retour Recueil Dalloz, 2017.
- F. Arhab, Les nouveaux territoires de la faute, Responsabilité civile et assurances, 2003.
- J. Lagoutte, La faute dans l'avant-projet de réforme de la responsabilité civile, Responsabilité civile et assurances, 2017, étude 2.
- L. Bloch, Relative relativité de la faute contractuelle ou absolue généralité de la faute délictuelle? Responsabilité civile et assurances, 2006, n° 11, étude 17.
- M. Leveneur-Azémar, Une solution convaincante pour l'engagement de la responsabilité des contractants par les tiers. À propos de l'article 1234 du projet de réforme de la responsabilité civile. JCP G, n° 46, 2017.

▪ **Concernant le Dommage et le préjudice**

- D. Tallon, L'inexécution du contrat : pour une autre présentation, RTD civ 1994.
- J. Knetsch, Le traitement préférentiel du dommage corporel, JCP 2016, suppl. au n° 30-35.
- J. Traullé, Les dommages réparables, Responsabilité civile et assurances, 2016, dossier 4.
- M. Bacache, A. Guégan-Lécuyer et S. Porchy-Simon, Dommage corporel. Recueil Dalloz 2016.
- P. Jourdain, Comment traiter le dommage potentiel ? Responsabilité civile et assurances n° 3, 2010, dossier 11.
- Ph. Rémy-Corlay, Exécution et réparation : deux concepts, Revue des contrats, 1 janvier 2005, n°1.
- S. Abravanel-Jolly, Un droit à indemnisation pour le conducteur victime ? (À la suite du projet de réforme de la responsabilité civile du 13 mars 2017). In L'incidence des réformes actuelles et à venir du droit des obligations sur le droit des assurances. Bulletin Juridique des Assurances, Dossier n° 2, 2017.
- Y.-M. Laithier, Les règles relatives à l'inexécution des obligations contractuelles, JCP G 25 mai 2015, suppl. au n° 21, n° 7.

▪ **Concernant la responsabilité en général**

- Tunc, Évolution du concept juridique de responsabilité : Droit et culture, 1996.
- Beraud, Responsabilité civile, Gazette du Palais, n° 257, 2012.
- Thibierge, Avenir de la responsabilité civile, responsabilité de l'avenir, D. 2004.
- Ch. Radé, Réflexions sur les fondements de la responsabilité civile - 1. L'impasse, D. 1999.
- F. Chabas, Cent ans de responsabilité civile. Gazette du Palais, 2000, n° 237.

- J.-S. Borghetti, La responsabilité du fait des choses, un régime qui a fait son temps : RTD civ. 2010.
- L. Henriot, Note sur la date et le sens du mot responsabilité, Affiches parisiennes, 1977.
- M. Villey, Esquisse historique sur le mot responsable, T. XXII : Arch. phil. dr. 1977.
- Ph. Rémy, Critique du système français de responsabilité civile, Droit et Cultures, 1996.
- Ph. Rémy, La responsabilité contractuelle : histoire d'un faux concept, RTD civ. 1997.
- V. Depadt-Sebag, Faut-il abroger l'article 1386 du code civil? Recueil Dalloz, Paris, 2006.
- **Concernant La distinction entre les responsabilités contractuelle et extracontractuelle**
- G. Durry, «Mireille Bacache-Gibeili, La responsabilité civile extracontractuelle. Droit civil, sous la direction de Christian Larroumet, Les obligations, T. V, Economica, 2007, 783. P.». RTD Civ. 2008.
- J.-S. Borghetti, L'articulation des responsabilités contractuelle et extracontractuelle, JCP G, suppl. au n° 30-35, 25 juill. 2016.
- M. Planiol, Identité des fautes civiles et contractuelles. Unité des systèmes de responsabilité, D. 1896. II.
- P. Stoffel-Munck, La singularité de la responsabilité contractuelle, JCP G. 2016, supp, n° 30-35.
- Y.-M. Laithier, La distinction entre les responsabilités contractuelle et extracontractuelle en droit français: perspectives d'avenir après l'adoption du Nouveau Code civil et commercial argentin, Université de Buenos Aires (UBA), Faculté de Droit, Buenos Aires, 2015.

II. Ouvrages et thèses

- G. Viney, Introduction à la responsabilité, 3ème éd., 2008.
- J. Huet, Responsabilité contractuelle et responsabilité délictuelle. Essai d'une délimitation entre les deux ordres de responsabilité, Thèse, Paris, 1978.
- P. Esmein, Obligation et responsabilité contractuelles, in Études offertes à G. Ripert, Le droit privé au milieu du XXème siècle, T. II, LGDJ, 1950.
- Ph. Brun, Responsabilité civile extracontractuelle, LexisNexis, 2016. 4e éd.
- Ph. Delebecque et F.-J. Pansier, Droit des obligations, volume II : responsabilité civile, délits et quasi-délits, Lexisnexis, coll. Objectif droit, 7ème éd. 2016.
- S. Carval, G. Viney, P. Jourdain, Les conditions de la responsabilité, Traité de droit civil, LGDJ, 4e éd., 2013.
- Trois ouvrages sont parus sous la direction de François Terré: Pour une réforme du droit des contrats, Dalloz, Paris, 2008; Pour une réforme du droit de la responsabilité civile, Dalloz, 2011 ; Pour une réforme du régime général des obligations, Dalloz, Paris, 2013.

III. Colloques, Etudes et Rapports

- Anziani et L. Béteille, (Dir), Responsabilité civile : des évolutions nécessaires. Rapport du groupe de travail sur la responsabilité civile de la Commission des lois du Sénat, 15 juillet 2009, n° 558.
- Avant-projet Catala-Viney de 2005. P. Catala, (Dir), Avant-projet de réforme du droit des obligations (articles 1101 à 1386 du code civil) et du droit de la prescription (articles 2234 à 2281 du code civil), rapport à P. Clément, Ministre de la Justice, 22 septembre 2005, www.lexinter. Avant-projet de réforme du droit des obligations et de la prescription, (Dir) P. Catala, La Documentation française, 2006.
- Avant-projet de loi Réforme de la responsabilité civile Analyses et

- contrepropositions. Centre de droit civil des affaires et du contentieux économique, 2016, (EA 3457), Unive. Paris-Ouest Nanterre La Défense.
- Avant-projet de réforme du droit de la responsabilité civile, JCP G, numéro spécial, suppl. n° 30-35, 25 juill. 2016. Chancellerie, Conf. De presse, 29 avr. 2016.
 - Colloque organisé par la Revue des contrats le 12 mai 2006, L'avant-projet de réforme du droit de la responsabilité, Revue des contrats, 2007, n° 1, numéro spécial. L'avant-projet de réforme du droit de la responsabilité, (Actes du Colloque, Paris I, 12 mai 2006. Revue des contrats, n° 1, numéro spécial, 2007.
 - Le projet de réforme de la responsabilité civile est une œuvre collective portée par la Chancellerie. Propos recueillis par C. Kleitz, interviewé J-J. Urvoas, Ministre de la Justice. Gaz. Pal. 14 mars 2017, n° 11.
 - Rapport sur l'avant-projet de réforme du droit des obligations (articles 1101 à 1386 du code civil) et du droit de la prescription (articles 2234 à 2281 du code civil), P. Catala (dir.), La documentation française, 2005.
 - Vers une réforme d'ensemble du droit de la responsabilité civile. Consultation de la chancellerie. Rapport de D. Norguet. Chambre de commerce et d'industrie

المحتوى

الصفحة	الموضوع
269	الملخص
271	المقدمة
278	المطلب الأول - الوحدة لجهة الغطاء المصطلحي: المسؤولية المدنية من البعد التقصيري إلى البعد غير التعاقدية
278	أولاً - وحدة المسؤولية المدنية في المصطلح «العقدي»
280	ثانياً - تراجع فكرة المسؤولية التقصيرية لصالح المسؤولية غير التعاقدية
285	المطلب الثاني - الوحدة لجهة المساءلة القانونية.. المسؤولية المدنية من نظرية «الخطأ» إلى نظرية «الضرر»
286	أولاً - تراجع نظرية الخطأ
293	ثانياً - تعاضم نظرية الضرر
304	الخاتمة
306	المراجع